البنية الزمنية في القصة القرآنية

الاسترجاع والاستباق

الدكتور بشار إبراهيم نايف



Title : TIME STRUCTURE
IN STORY OF THE HOLY QUR'AN
Flash-back and foreshadowing

Classification: Qur'anic studies
Author :Dr. Baššār Ibrāhīm Nāyif
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages :160
Size : 17* 24
Year : 2011
Printed In : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : البنية الزمنية
في القصة القرآنية
الاسترجاع والاستباق

التصنيف : دراسات قرآنية
المؤلف : د. بشار إبراهيم نايف
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 160
قياس الصفحات: 24 *17
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى

الآراء والاجتهادات الواردة في هذا الكتاب
تعبّر عن رأي المؤلف وحده
ولا تُلزم الناشر بأي حال من الأحوال


جميع الحقوق محفوظة
2011



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أضاء بعلمه مستقبل المؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ وذكّر الناس بماضي الأمم فقال: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فقد كانت القصة القرآنية ميدانا واسعا للدراسات اللغوية والأدبية، شغلت تفكير الأدباء والنقاد بأسلوبها العذب وعرضها الرائع الذي سحر القلوب وأطرب النفوس، مما جعل الكثيرين منهم يتبارون في اكتناز علومها والنهل من بديعها، فخرجوا بدراسات قيمة وبحوث ثمينة، أغنت مكتباتها العربية وما زالت تمدها بنتاجات جديدة فيها الكثير من الفائدة لمن أراد التبحر في علوم القرآن والتزود من طعامه المتراص على مائدة الرحمن، وعلى الرغم من تلك الدراسات القيمة والجليلة، الا أننا لم نجد فيها اهتماما للزمن يوازي الاهتمامات الأخرى إلا في بعض المباحث الصغيرة التي انزوت في فقرة ضيقة ضمن فقرات كثيرة، جمعتها مجموعة من الرسائل الجامعية القليلة.

فقررنا أن نبحر في موضوع البنية الزمنية في القصة القرآنية (الاسترجاع والاستباق) على أساس أهميته المتأتية من قلة الدراسات الزمانية في القصة القرآنية أولا، ولتحقيق رغبة ذاتية في دراسة الإعجاز القرآني دراسة أدبية وفق مصطلحات نقدية حديثة ثانيا، منطلقين من مبدأ واحد مفاده أن القرآن الكريم جاء لكل الناس على تعدد لغاتهم واختلاف أجناسهم، في كل مكان وزمان. واستقر رأينا على أن

نجعل الكتاب يحتوي على تمهيد وفصلين، إذ شمل التمهيد مدخلا إلى مفاهيم الزمن الفلسفية والنفسية والطبيعية واللغوية والنحوية والصرفية، وقد عمدنا إلى تقديم مفهوم الزمن الفلسفي لعلاقته الوثيقة بالزمن السردي الذي هو موضوع دراستنا، لا سيما آراء الفلاسفة التي تمحورت في اللحظة والديمومة والعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وركزنا في مفهوم الزمن الطبيعي واللغوي على آراء المفكرين العرب واشتمل التمهيد أيضا على الزمن السردي وتنقلنا فيه بين آراء الروائيين والنقاد بدءا بالنقد الشكلاني وانتهاء بآراء الروائيين الجدد لا سيما جيرار جنيت.

وانتهينا في التمهيد، بالزمن في القصة القرآنية وناقشنا فيه بعض الآراء التي تقول إن القصة القرآنية لم تهتم بالزمن بدليل عدم اهتمامها بالترتيب الزمني، وذكرنا أهمية الزمن في القصة القرآنية مع الإشارة إلى عدد من القصص التي أعطت للزمن دورا رئيسيا فيها.

أما الفصل الأول فقد ضم أربعة مباحث، بعد مدخل بينا فيه مفهوم الاسترجاع الذي هو عنوان الفصل، وتناولنا في المبحث الأول بناء الحدث من خلال ستة أبنية (البناء المتتابع، المتداخل، المتوازي، المكرر، التضمين، الدائري) فيما ضمت المباحث الثلاثة الأخرى تقسيمات الاسترجاع وهي (الخارجي والداخلي والمزجي) مع تقسيمات فرعية أخرى جاءت ضمن الأنواع الثلاثة.

وضم الفصل الثاني الذي جاء بعنوان الاستباق، أربعة مباحث أيضا توزعت الثلاثة الأولى على تقسيمات الاستباق من حيث المدى والسعة والوظيفة، فيما ضم المبحث الرابع المفارقة المعقدة وتناولنا فيها الاسترجاع المفتوح والاسترجاع الاستباقي والاستباق الاسترجاعي.

وقد اعتمدنا في دراستنا على طريقة انتقائية، إذ تم التركيز على الشاهد الموجود في عدد من القصص القرآني بما يفيد الغرض الذي تناولناه.

ولا بد من ذكر الصعوبات التي واجهتنا وتمثلت في أمرين، الأول دراسة القصة القرآنية وفق آليات حديثة، الأمر الذي تطلب منا الحذر الشديد خوفا من الوقوع في خطأ ما يمس العقيدة، والثاني صعوبة التفريق بين التقسيمات الزمنية

وعدم وضوح الرؤية في تحديد المصطلحات الموجودة بشكل دقيق، بعدما جاءت متشابهة إلى حد كبير، مما تطلب ذلك منا جهدا كبيرا في إيجاد الفوارق بينهما وهذا يفسر وجود الرسومات التوضيحية الموجودة في الدراسة.

وأخيرا فإن ما قمت به من عمل لا يعدو كونه محاولة مني في البحث والتقصي في زمن القصة القرآنية وقد تفتح أبوابا أخرى إن شاء الله تعالى، فإن أصبت فلله الحمد على منّه وفضله، وإن أخطأت فلي أجر المحاولة وعزائي أن فوق كل ذي علم عليم.

التمهيد

مفاهيم الزمن

الزمن الفلسفي: لقد شغل الزمن الكثير من اهتمام النقاد، محاولين استدراك كنهه ومعرفة تقسيماته العديدة، متنقلين بين مجالاته الفلسفية والمعرفية والأدبية، وقد حفظت كتب النقد والفلسفة عدة تعريفات له، اتفق أصحابها في جوانب واختلفوا في أخرى. وقد بدأ التفكير بالزمن من زاوية فلسفية انطلق فيها الفلاسفة من اليومي إلى الكوني والانطولوجي مرورا بالزمن الفلكي والسيكولوجي وغيرها، وجسدوها في تحليل اللغة، لا سيما في أقسام الفعل الزمنية التي تطابقت مع تقسيم الزمن الفيزيائي في ثلاثة أبعاد، الماضي، الحاضر، المستقبل، وما زال التفكير في الزمن يأخذ أشكالا فلسفية تتنوع بحسب اتجاه الباحث والمفكر[1]، كما ان الزمن الفلسفي في جوهره ليس زمنا بل هو النظر في الزمن داخل الوجود المتصور سواء كان مثالا تجريديا أم حقيقة تكاد تقترب من التشخيص، أي انه قد يكون وجودا أو عدما، وعدمية الزمن قال بها نفاته، فهو إما أن يكون ماضيا وليس بموجود أو مستقبلا ليس بموجود أو حاضرا مقتضى[2]، ويؤكد روبنال هذا الرأي في قوله (إن الزمن واقع محصور في اللحظة بين عدمين، يمكن بدون شك أن يحيا من جديد إلا أن عليه أن يموت قبل ذلك ولا يستطيع أن ينتقل بذاته من لحظة إلى أخرى ليجعل منها ديمومة)[3]. وعلى نقيض مفهوم اللحظة يجيء برغسون بمفهوم الديمومة حيث التواصل الموجود بين الماضي والمستقبل، فالماضي يركز قواه في المستقبل

---

(١) تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين، ٦١.

(٢) الصيغ الزمنية في اللغة العربية: ١٢.

(٣) حدس اللحظة: غاسلون باشلار، ت: رضا عزور.

والمستقبل يفسح المجال لقوى الماضي، والدفعة الحيوية نفسها هي التي توحد بين أجزاء الديمومة[١]، فالعقل لا يدرك التغييرات الأساسية عن طريق الزمان لكننا في الوعي الذاتي نخبر التغييرات في الزمان من الداخل، فنحن هنا لا نعني سلسلة متعاقبة من الحالات المتميزة، لكننا نعني حاضرا بوصفه صادرا عن ماضينا وبوصفه صائرا إلى مستقبل لا ندركه في وضوح، فالزمان الذي ندركه في وضوح هذه الخبرة ليس هو الزمان الخارجي كما تدل آلة ضبط الوقت، بل هو خبرة فعلية بالتغيير تتداخل فيها مراحل القبل والبعد وهذا هو ما يسميه برغسون بالديمومة[٢].

وبين اللحظة والديمومة تتوضح رؤى الزمن وتكثر تعريفاته فيغتذي كل ما يمضي بالتعارض مع كل ما يبقى[٣]، والزمن بحسب تعريف أرسطو في كتابه الطبيعة "هو عدد الحركات الحاصلة قبل وبعد. فاستمرارية الزمن من استمرارية الحركة"[٤]، في حين يرى أفلوطين عكس ذلك ويفترض أن الزمن شيء قائم بذاته وأن الحركة والسكون يحدثان داخل الزمن في حين لا يحدث الزمن في شيء آخر[٥]. ويعرف أوغسطين الزمن تعريفا نفسيا فهو يرى أن الزمن يشغل مساحة معينة في الذاكرة الواعية، فهو ذاتي أو سيكولوجي لأن الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلية تعتمد على الذهن ولا يوجد سوى حاضر الأشياء الماضية ونسميه الذاكرة وحاضر الأشياء الحاضرة ونسميه الرؤية وحاضر الأشياء المستقبلية ونسميه التوقع[٦].

ان الزمن النفسي من الغموض والميوعة والنسبية ما يجعله عصيا على الفهم، كما انه يضع آثاره في الذاكرة ليشكل صورا حية تجيش بالأحاسيس والأوهام والخيالات، انه عملية تكديس للماضي الذي يتراكم فوق الماضي[٧]. فالزمن مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس، يتجسد فيه الوعي من خلال ما

---

(١) حدس اللحظة: غاسلون باشلار، ت: رضا عزور، ٢.

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة: ترجمة فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد صادق، ١١٤.

(٣) في نظرية الرواية: عبد الملك مرتاض: ٢٠١.

(٤) إذن ما الزمن؟ ريتشارد غيل: مجلة الموقف الثقافي، العدد، ٢٩، ٢٠٠٠م، ١٨ – ٢١.

(٥) م. ن.

(٦) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة: سعد عبد العزيز، ٣٥.

(٧) في نظرية الرواية: ٢٠١.

يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر لا من خلال مظهره في حد ذاته، فهو وعي خفي لكنه متسلط ومجرد يتمظهر في الأشياء المجسدة[١].

اما (كانت) فقد بدا بالأولوية المنطقية للزمن بوصفه الشكل الذي يكون عليه إحساسنا منطلقا من استمرارية الزمن نسبة إلى استمرارية التغيير، فاللحظة الحالية التي تربط الماضي بالمستقبل بصفتها إنهاء للماضي وبداية للمستقبل هي التي تجعل الزمن مستمرا[٢]. ومع التعريفات الزمانية نجد ثمة خصائص بارزة ألمح إليها معظم النقاد في سياق حديثهم عن الزمن[٣]، الأولى: ان الزمن أمر نسبي، ونسبيته تأتي عن طريق الأحداث المتغيرة أو الأشياء الثابتة التي نتصل بها في حياتنا اليوم.

الثانية: ان الزمن يكشف عن صفتين من صفات الترتيب الأولى علاقة (قبل وبعد) التي تجمع بين لحظتين، والثانية علاقة الماضي - الحاضر - المستقبل، وهي علاقة بين حدود ثلاثة فالحاضر يجب ان يكون ماضيا ومستقبلا.

الزمن الطبيعي:

الزمن الطبيعي هو الزمن الذي يمكننا إحصاءه واستغلاله في تنظيم علاقاتنا الواقعية فهو يعمل على دفعنا إلى الإمام كما يدفع بحاضرنا إلى التردي في العدم[٤]. فالزمن الطبيعي هو مقدار حركة الشمس في الفلك ويمكن تقسيم هذه الحركة على أعوام وفصول وشهور وهكذا إلى أن نصل إلى اصغر جزء من الوقت[٥]. ولنا في هذا حديث مشهور للرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) ((إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم))[٦]. وقد مال العرب القدامى إلى الزمن الطبيعي في تعريفاتهم،

---

(١) إذن ما الزمن؟: ١٩.

(٢) الفضاء الروائي عند جبرا: إبراهيم جنداري، أطروحة دكتوراه، ٣٧.

(٣) في نظرية الرواية: عبد المالك مرتاض: ٢٠١.

(٤) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة: ٣٥.

(٥) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: د. عبد الإله الصائغ، ٤٩.

(٦) صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري: ج٣، ١٣٠٥.

وسمي عندهم بالزمن الفلكي، فالزمان عند ابن فارس هو ساعات الليل والنهار والوقت الطويل والقصير[1]، وعرف الخوارزمي (ت ٣٨٧) بأنه مدة تعدها الحركة مثل حركة الأفلاك وغيرها[2] وأشار أبو الهلال العسكري (ت ٣٩٥) إلى أن الأحداث تتلاحق وتتعاقب كتعاقب الليل والنهار وعرّف الزمن بأنه أوقات متوالية مختلفة او غير مختلفة[3].

أما ابن سينا (ت٤٢٨) فقد عرف الزمان بأنه مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر[4]. وعرفه ابن القيم الجوزية (ت٧٥١) بأنه عبارة عن مقارنة حادث من الحركة العلوية لحادث من حركة العباد ومعيارا له ولهذا اسماه النحاة ظرفا لأنه مكيال ومعيار يعلم به مقدار الحركة والفعل وتأخره وقربه وبعده وطوله وقصره وانقطاعه ودوامه[5]. فيما قسم الزركشي (ت٧٩٢) الزمان على قسمين هما[6]:

١ - زمان حقيقي وعرفه بأنه مرور الليل والنهار او مقدار حركة الفلك.

٢ - زمان تقديري أو افتراضي.

وعرفه المتكلمون بأنه عبارة عن متجدد معلوم ومجيئه موهوم، وقد عدّ عدد من المتكلمين الجسم والزمان والحركة متصلة وتنقسم بالوهم فقط، وتصور هؤلاء الزمان تصورا أرسطيا فيما عدا قولهم في بداية العالم والزمان بعد الله الأزلي الذي كان وحده ثم خلق[7].

الزمن لغة:

أما تعريف الزمن في المعجمات العربية فهو يدخل ضمن المعنى اللغوي فقط، فنجد ان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥) يعرفه " بأن الزمن من الزمان،

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢، ٢٥٨.

(٢) الحدود الفلسفية: عبد الأمير الاعسم، ٢١١.

(٣) الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، ٢٢٤.

(٤) الحدود الفلسفية: عبد الأمير الاعسم، ٢٥٣.

(٥) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم: حسام الالوسي، ١٥١.

(٦) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ٤، ١٤٤.

(٧) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، حسام الالوسي، ١٥١.

والفعل زمنا يزمن زمنا وزمانه والجميع الزمني للذكر والأنثى أو زمن الشيء طال عليه الزمن"[1]، وعرفه الجوهري (ت ٣٩٨) " بأنه اسم لقليل الوقت وكثيره "[2]، وذكر ابن فارس (ت ٣٩٥) "إن الزمن وقت من الزمان وهو الحين، قليله وكثيره، يقال زمن وزمان والجمع أزمان وأزمنة "[3]. وعرفه الفيومي (ت ٧٧٠) بأنه "مدة قابلة للقسمة ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن، والسنة أربعة أزمنة وهي الفصول"[4].

الزمن الصرفي والنحوي:

ان الزمن النحوي هو عبارة عن تراكيب تدل على المضي والحضور والاستقبال ويشترك مع الصرف باعتباره صيغ تدل على وقوع أحداث مختلفة زمنيا ترتبط بالعلاقات الزمنية عند المتكلم وهذه العلاقات هي التي تحدد المجال الزمني الذي يقع فيه الفعل الماضي أو صيغة فعل[5]. ويرى وليم رايت "أن الصيغ الزمنية للفعل العربي صيغتان اثنتان فقط، إحداهما تعبر عن حدث تم وكمل من حيث علاقته بغيره من الأعمال، والأخرى تعبر عن حدث لم يتم، حدث ابتدئ به واتصلت أحداثه ولم ينته بعد"[6] ويكاد لا يخلو كتاب من كتب التفسير أو النحو أو فقه اللغة من إشارات عميقة تتجاوز مستوى التقسيم الثلاثي الكلاسيكي للزمن وتتعداه إلى محاولة معاينة عدد الخروجات التي تتم في الاستعمال اللغوي، من خلال شواهد من الشعراء أو آيات من القرآن الكريم، إذ تصبح تلك الصيغ الزمنية خالية من أية زمنية بسبب تجلي هذه الزمنية من خلال عدد من المعينات، وقد ذكر إبراهيم السامرائي ان الزمان لا يتحصل من الفعل بصيغته المنفردة وإنما يتحصل من بناء الجملة فقد تعين الزيادات الموجودة في الجمل الفعل على تقرير الزمان

---

(١) العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، ٧/ ٣٧٥.

(٢) الصحاح: الجوهري، ٥، ٢١٣١.

(٣) مقاييس اللغة: ابن فارس، ٣، ٢٢.

(٤) المصباح المنير: الفيومي، ١، ١٤٨.

(٥) في النحو العربي: نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ١٤٧.

(٦) تاريخ اللغات السامية: ولنفسون، ١٦.

بصورة واضحة[١].

كما لجأ عدد من النحويين إلى تحديد الزمن بحسب وظيفة الأدوات، ووجد قسم منهم أن التغييرات الزمنية في الجملة تأتي في اغلبها من استعمال الأدوات[٢].

ويميز تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) بين الزمن الصرفي والزمن النحوي، فالزمن الصرفي يظهر من خلال الصيغ والزمن النحوي يظهر من خلال السياق، فالصيغ تتساوى والذي يزمنها هو موقعها في السياق[٣].

الزمن في الرواية:

يؤدي الزمن السردي بوصفه احد العناصر المهمة في الرواية دورا كبيرا في صياغة شكلها وتحديد إطارها الخارجي وترصين بنائها الداخلي، وكان التتابع المنطقي للأحداث هو الصفة الغالبة في الأعمال السردية المكتوبة والمروية في السابق، لكنه وبعد روايات مارسيل بروست وتوماس مان ووليم فوكنر بدا يأخذ قالبا آخر يعلن استقلاله عن زمن الحكاية في محاولة لإبراز مفاتنه وإظهار جماليته وبدأت الأفكار التي تجعل الزمن مجرد أداة تربط الأحداث فيما بينها تزول نهائيا لتحل محلها أفكار أخرى تجعل الزمن يأخذ بعدا آخر يحمل سمة الغموض[٤] "ويعتمد في اغلب الأحوال أطروحة غير مكتوبة تفيد بأن الزمن ظاهرة متكاملة وقابلة للتفسير"[٥]. ولم يعد مطلوبا من الزمن الأدبي ان تتطابق قوانينه مع قوانين الزمن في الحياة الحقيقية بعد إعلانه الثورة على منطقية الترتيب الزمني للأحداث واتخاذ اللحظة المتأزمة بداية للأحداث ومن ثم يتلاعب بها الراوي

(١) الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، ١٥.

(٢) اثر المعنى القرآني في تحديد الأداة: خزعل فتحي زيدان، أطروحة دكتوراه، ٤٩.

(٣) اللغة العربية معناه ومبناها: تمام حسن، ٢٤١.

(٤) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: عبد الله إبراهيم، ٣٨ وينظر: تيار الوعي: روبرت همفري، ت محمود الربيعي، ١٩ - ٢٥.

(٥) باختين والزمن والسردي الحديث: سبنسي بيرثن، ترجمة د. محمد درويش، مجلة الأقلام، العدد السادس، ١٩٩٩، ٣٥.

رجوعا واستباقا.

لقد تمثلت المحاولات الأولى لدراسة الزمن الروائي وتحليله في جهود الشكلانيين الروس الذين وضعوا الأسس الرصينة لذلك، وقد تمثل الزمن الروائي في النقد الشكلاني برسم بياني أضفى الصفة الطولية على النصوص التي تقترب من الماضي والحاضر وبين مختلف وجهات النظر على نحو متواصل تقريبا[١]. وقد شكلت طروحات الشكلانيين منطلقا انطلق منه البنيويون فيما بعد وارتكزوا على العلاقات التي تجمع بين الأحداث وترتبط بين أجزائها وليس على طبيعة الأحداث في ذاتها، وتوزعوا بين طريقتين لعرض الأحداث في العمل الأدبي[٢]:

الأولى: أن يخضع السرد لمبدأ السببية فتأتي الوقائع مسلسلة على وفق منطق خاص.

الثانية: أن يتخلى عن الاعتبارات الزمنية بحيث تتابع الأحداث من دون منطق داخلي، ومن هنا جاء تمييزهم بين المتن والمبنى، إذ يظهر المتن الحكائي كمجموعة من الحوافز التي تتابع زمنيا على وفق منطلق يعتمد على السبب والنتيجة، فيما يظهر المبنى الحكائي بوصفه مجموعة من الحوافز التي تترتب حسب التتابع الذي يقتضيه العمل[٣].

وهناك شكل ثالث يتم فيه سرد ما يحدث لاحقا قبل وقوعه كحدث، ومن خلال هذه الأشكال الثلاثة يقدم توماشفسكي نوعية العلاقات بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي[٤]، إن المتن هو الحكاية كما يفترض أنها حدثت في الواقع أي بمراعاة منطقي التتابع والترتيب، في حين يتشكل المبنى مرويا أو مكتوبا، وفي هذه الحالة يكون المبنى خاضعا لقواعد الكتابة، وقواعد الحكي وأنساقه وبهذا المعنى يظهر البناء في كل عمل سردي بدرجات متفاوتة، فقد تتوافر القصة البدائية على

(١) م. ن: ٣٥.

(٢) نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب: ١٧٩، ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٤١.

(٣) نظرية المنهج الشكلي: ١٧٩.

(٤) تحليل الخطاب الروائي: ٨٢.

ابسط مستوى من البناء، في حين يتجلى التعقد في القصة القصيرة الحديثة والرواية، ويكاد المنظرون يجمعون على هذا التحديد لمفهومي المتن والمبنى، بيد أنهم اختلفوا في التسميات، فسمي المتن بـ(القصة، الحكاية، الملفوظ، المدلول، محتوى التعبير) والمبنى يسمى (الخطاب، السرد، اللفظ، الدال، شكل التعبير)[1].

وبرزت أهمية الزمن في النقد الروائي (الانجلوسكسوني) فأكد نقاده على الربط بين الزمن وموضوعات الرواية، ورأى لوبوك انه يتعين على الراوي "أن يمتلك القدرة على تمثيل صيغة الزمن من خلال بناء الرواية الكلي لأن الزمن موضوع بناء الكتاب كله وان صيغة الزمن لا بد من تمثيلها، وان ثمة ما هو أكثر من حضور محتوياتها بحسب ترتيبها، فلو كان الزمن صلب الكتاب فإن سطوره وفصله لا بد ان تبين ذلك"[2]. ويقسم ادوين موير الرواية بحسب العلاقة بين موضوعاتها والزمن على ثلاثة أقسام (الرواية الدرامية) ويكون حضور الزمن فيها فاعلا لوقوع عالمها الخيالي فيه، و(الرواية الشخصية) الذي يقع عالمها الخيالي في المكان، و(الرواية التسجيلية) والتي يجري فيها الزمن في انتظام رتيب قاس خارج عن الشخصيات، فهو فن خارجي غير مستقر ذاتيا وإنسانيا في نفوس الشخصيات[3]، ويرى فورستر أن "التتابع الزمني يتداخل في تنظيم اصغر وحدات الجملة"[4].

وينطلق لوكاتش في تعامله مع الزمن في الرواية من الدراسات الفلسفية والفكرية لا سيما في إعطاء المقولات الجمالية صفة تاريخية في ربطه بين ظهور الرواية وصعود الطبقة البرجوازية وهو يرى ان كل ما في الرواية من تتابع الأحداث هو معركة ضد قوى الزمن[5]، وتأثر لوكاتش بمفهوم الديمومة عند برغسون "إن أعظم توافق يقوم بين الفكرة والواقع لهو الزمن، وجريان الزمن بوصفه ديمومة،

---

(١) بناء السرد الثقافي في قصة (بياض ورياض) لمؤلف مجهول أنموذجا: محمد الشوابكي وفايز قيس، أبحاث اليرموك: ٩٢.

(٢) صنعة الرواية: لوبوك: ترجمة عبد الستار جواد، ٥٥.

(٣) بناء الرواية: ادوين موير: ترجمة إبراهيم الصيرفي، ٦٣.

(٤) أركان القصة: فورستر: ترجمة كمال عياد، ٥٣.

(٥) نظرية الرواية: جورج لوكاتش: ترجمة الحسين سحبان، ١١٧.

والرواية التي هي الشكل الوحيد لتيه الفكرة المتعالي هي أيضا الشكل الوحيد الذي يفسح مكانا للزمن الواقعي، للديمومة البرغسونية"[1]، ويختلف لوكاتش عن هيجل، وبرغسون، اللذين يريان ان الزمن هو نمط من انجاز ذي دلالة وصفية متطورة، في حين يرى لوكاتش أن الزمن هو "عملية انحطاط متواصلة وشاسعة تقف بين الإنسان والمطلق"[2].

ويعتقد باختين "أن المهم هو رؤية وتفكير العالم من خلال تنوع المضامين وتزامنها والنظر إلى علاقاتها من زاوية زمنية واحدة "[3] وقد حدد ثلاثة ملامح أساسية تميز الرواية عن بقية الأجناس الأدبية وهي[4]:

١ - الأبعاد الأسلوبية الثلاثة المرتبطة بالوعي اللغوي المتعدد والمتحقق في الرواية.

٢ - التغير الجوهري الذي تحققه في الأنساق الزمانية للصورة الأدبية.

٣ - المنطقة الجديدة التي تفتحها الرواية لبناء صورة أدبية، لا سيما منطقة التماس مع الحاضر بكل ما في ذلك من نهاية مفتوحة.

ونظر جون بويون إلى الزمن نظرة سيكولوجية من خلال طابعين رئيسين هما[5]:

١ - كثافة سيكولوجية للحكي ويفترض رؤية واقعية للشخصيات تعالج ما اسماه بأنماط الفهم، ومن خلالها يجعل الرؤية (من الخلف - مع - من الخارج).

٢ - ويبرز الطابع الثاني من خلال وصف المدة التي ليست جريانا بسيطا بدون أي من السمات الخاصة بالزمن. ومن خلال هذين الطابعين ينطلق جون بويون من سياق فلسفي شايع هيدجر وسارتر في ان الزمنية المسبقة في أصلها ليس

---

(١) م. ن.

(٢) بنية الشكل الروائي: حسن بحرواي، ١٠٩.

(٣) قضايا الفن الإبداعي عند دوستوفسكي: م. ب. باختين: ترجمة د. جميل نصيف التكريتي، ٤٥.

(٤) باختين والزمان والسردي الحديث: ٤٦.

(٥) تحليل الخطاب الروائي: ٨٢.

لها وجود وإنما هي ميزة ما يمكن تزمينه، انه يلغي تناول البنية المسبقة للزمن الروائي ويفرض البحث في التتابع الخارجي البسيط للأحداث والمواقف مقابل تركيزه على معنى تسلسل الأحداث كما يتم داخل نفسية الشخصية الروائية، انه يجعل من احترام خاصية الزمن مقياسا للفهم النفسي للعمل[١].

وينطلق رومان انجاردن من الفلسفة الظاهراتية التي تعد الزمان مقولة رئيسية فالوجود الإنساني بحسب رأيهم (مشكل من قبل الزمن) والظاهراتية فلسفية ذاتية يقوم تنظيرها الأدبي على مفهوم النص المغلق. ان كل عمل أدبي يمتد زمنيا في سياق الأحداث والموضوعات الأدبية يشكل زمانا باطنيا خاصا بالعمل ويظهر منغلقا على ذاته وله ديناميته الخاصة ويشترط انجاردن ضرورة وحدة المنظومات الزمانية للأزمنة المختلفة في العمل الأدبي، ويرى أنه يجب أن تتعين أجزاء العمل في القراءة بالترتيب نفسه الذي ترد عليه في العمل[٢].

وقسم بوتور زمن الرواية على ثلاثة أزمنة، زمن الكتابة، وزمن المغامرة وزمن القراءة وغالبا ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة بواسطة زمن القراءة. فيقدم لنا الكاتب خلاصة أحداث جرت خلال أيام أو سنوات في دقائق أو ساعات[٣]. ويكشف بوتور أهمية الاطلاع على مختلف أنواع التتابع والتعاقب، ورصد حركة الانقطاع الزمني الذي يتم فيه الانتقال من زمن إلى آخر في الرواية باعتماد إشارات مثل (وفي الغد) أو(بعد قليل)، وبتعبير الفصول، كما يكشف تميز بنية الزمن من حيث سرعته وتباطئه، كما ينجلي في الخلاصة والوقفة والحوار. مما جعل مقولة الزمن تتخذ أبعادا ودلالات جديدة على مستوى تحليل الخطاب الروائي[٤].

---

(١) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٤٥.

(٢) الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية): سعيد توفيق، ٤٥. ينظر: البناء الفني في رواية البحر لحنا مينا، ٧٦.

(٣) تحليل الخطاب الروائي: ٦٩.

(٤) تحليل الخطاب الروائي: ٦٩.

وتطرق توماس مان إلى إن هناك تقاطعا فريدا تماما للفترات الزمنية، مخصصا في الحقيقة للتقاطع مع فترة ثالثة يود القارئ أن يستقبل فيها علاقة ترتبط بسجل ثلاثي للزمن، زمنه الخاص، وزمن المخبر، والزمن التاريخي[١].

وذهب البنيويون إلى التمييز بين القصة التي هي خطاب، والحكاية، فبحثوا في العلاقة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، كما بحثوا مظاهر القصة او الطريقة التي يتصور بها الراوي الحكاية، فضلا عن أحوال القصة التي تتوقف على نوع الخطاب الذي يستخدمه الراوي كي يطلعنا على الحكاية[٢].

وأشار رولان بارت إلى وجود الزمن بوصفه عنصرا من عناصر نظام سيميائي فالزمنية عنده ليست سوى مستوى بنيوي من مستويات السرد، ومثلما هو الشأن في اللغة، فالزمن لا يوجد سوى في شكل نسق، فالزمن لا ينتمي إلى الخطاب بمفهومه الضيق، وإنما ينتمي إلى المرجع فالسرد واللغة لا يعرفان سوى زمن سيميولوجي، اما الزمن الحقيقي فهو وهم مرجعي او واقعي[٣].

وطرح تودوروف قضايا عدة في إطار الزمن تركزت في ثلاثة محاور وهي:[٤]

١ - محور النظام: ويشمل تداخلات السرد بين القبل والبعد، وما ينشأ عنه من استباقات واسترجاعات.

٢ - محور المدة: ويشمل المقارنة بين الزمن الذي من المفروض ان يمتد فيه الفعل الروائي المقدم وبين الزمن الذي نحتاجه لقراءة الخطاب الذي يستدعيه هذا الفعل وأحوال السرد سرعة او بطئا والتي تجسدها معا الوقفة والحذف والمشهد والتلخيص.

٣ - محور التواتر: ويميز فيه حالات القص، المفرد والمكرر والمؤلف.

---

(١) عالم الرواية: رولان بورنوف، ريال اوتيليه، ت نهاد التكرلي، الطبعة الأولى، ١١٨.

(٢) نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، ٤٧.

(٣) التحليل البنيوي للسرد: رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار مجلة آفاق، العدد ٨ - ٩، ١٩٨٨، ١٦.

(٤) الشعرية: تودوروف ن ت شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ٤٨ - ٥٠.

وأكد تودوروف على النظام ورأى أن نظام (زمن الخطاب) لا يمكن أن يكون موازيا تماما لنظام المحكي (زمن التخيل) وثمة بالضرورة تدخلات في (القبل والبعد) ومرد هذه التدخلات الاختلاف بين الزمنين من حيث طبيعتهما، فزمنية الخطاب أحادية البعد وزمنية التخيل متعددة، واستحالة التوازي تؤدي إلى الخلط الزمني الذي تميز فيه بداهة بين نوعين رئيسين، الاسترجاعات او العودة إلى الوراء والاستقبالات او الاستباقات، فالاستباقات إعلان مسبق عما سيحدث، والاسترجاعات تروى فيما بعد ما قد وقع من قبل[1].

وقسم تودوروف الأزمنة على أزمنة داخلية وخارجية، وذكر ثلاثة أزمنة (زمن القصة المحكية، زمن الكتابة، وأخيرا زمن القراءة) وثلاثة أزمنة خارجية (زمن الكاتب، زمن القارئ، والزمن التاريخي)، وهذه الأزمنة (داخلية وخارجية) تدخل في علاقة مع بعضها ومجموع العلاقات الموجودة بين كل هذه المقولات هو الذي يحدد الإشكالية الزمنية للحكي[2].

ويميز جان ريكاردو في كتابه قضايا الرواية الجديدة بين الزمن السردي وزمن القصة من خلال محورين متوازيين يسجل في أحدهما زمن السرد وفي الأخر زمن القصة وينظر من خلال عدة نماذج أنواع العلاقات التي تتم بين المحورين وفي سرعة السرد يحاول دراسة علاقة الديمومة القائمة بحسب طبيعة الحكي بين المستويين الزمنيين فيحدد ضمن سرعة السرد هذه الخصائص[3].

١ - مع الحوار يكون نوعا من التوازن بين المحورين.

٢ - مع الأسلوب غير المباشر الذي يلخص العديد من الأحداث تسرع وتيرة السرد.

٣ - مع التحليل السيكولوجي والوصف يتباطأ الحكي.

وينطلق جيرارجنيت من مقولة لكرستيان ميتز التي تؤكد فيها كون المحكي، مقطوعة زمنية مرتين فهناك من جهة زمن الشيء المحكي، ومن جهة ثانية زمن

---

(١)الشعرية: تودوروف ت: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة: ٤٨.

(٢) انفتاح النص الروائي: سعد يقطين، ٤٢.

(٣) تحليل الخطاب الروائي: ٦٨.

الحكي أي أن هناك زمنين زمن الدال وزمن المدلول، ويحيل جيرارجنيت نوعية العلاقة بين الزمنين على ما اسماها المنظرون الألمان بزمن القصة وزمن الحكي، ويلاحظ أن الحكي الأدبي هو أكثر صعوبة للإحاطة به واستيعابه وذلك لأن أي زمن لا يمكن أن يستهلك إلا في زمن محدود هو زمن القراءة، كما أن إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن آخر[1].

ان زمنية الحكاية المكتوبة، شرطية أو أداتية، لأن السرد يتم إنتاجه كغيره من الأشياء داخل الزمن انه موجود في الفضاء، وبصفتها فضاء يكون الزمن اللازم لاستهلاكهما هو الزمن اللازم لعبورهما او اجتيازهما عند القراءة[2].

وكما فعل تودوروف أقام جيرار جنيت ثلاث علاقات لدراسة الزمن في ضوء العلاقة بين زمن القصة وزمن الحكاية وهي[3]:

١ - علاقة الترتيب: - وتقوم على توضيح الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة والترتيب الزمني لتنظيمها في الحكاية.

٢ - علاقة المدة: - وتقوم على توضيح الصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث أو المقاطع القصصية أو المدة الكاذبة في الحكاية (طول النص).

٣ - علاقة التواتر: - ويقصد بها العلاقات بين قدرات تكرار القصة وقدرات تكرار الحكاية.

وانطلق جينيت في تحديد التواتر من كون الحدث ليست له إمكانية ان ينتج فحسب وإنما أن يعاد إنتاجه، أي يتكرر مرة أو عدة مرات في النص الواحد، وأنواع التواتر التي يضبطها هي[4]:

١ - الانفرادي: خطابا وحيدا يحكي مرة واحدة ما جرى مرة واحدة.

٢ - التكراري: ما يحكي عدة مرات حدثا واحدا.

٣ - التكراري المتشابه: يحكي مرة واحدة أحداثا عدة متشابهة او متماثلة.

---

(١) تحليل الخطاب الروائي: ٧٦.

(٢) خطاب الحكاية: ٤٥ - ٤٦.

(٣) م. ن: ٤٧.

(٤) تحليل الخطاب الروائي: ٧٨.

ولم يقف جنيت عند حدود التمييز الثنائي بين القصة والخطاب، بل اخذ يتابع التفريق بين الحكاية بوصفها خطابا سرديا، والحكاية (الخطاب السردي) لا يمكنها أن تكون حكاية إلا لأنها تروي قصة، وإلا لما كانت سردية ولما كانت خطابا، إنها تعيش بصفتها سردية من علاقتها بالقصة التي ترويها وتعيش بصفتها خطابا من علاقاتها بالسرد الذي ينطق بها[1].

الزمن في القصة القرآنية:

أخذت القصة مساحة واسعة من القرآن الكريم محققة أهدافا كثيرة، كانت العبرة والموعظة الهدف الأساسي منها، غير ان هناك أهدافا جمالية لا تقل أهمية عن الهدف الأساسي، وقد مثلت أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم " فهي إخبار عن غيوب سالفة وردت ممن لم يعرف الكتب ولم يجالس أصحاب التواريخ"[2]. وتصب جميعها في قالب واحد، هو تربية الإنسان على وفق منهج سماوي يضمن له النجاة ويحقق الهدف الذي من اجله خلق ليكون خليفة الله في الأرض. لذا نجد ان القصص القرآني جاء[3]:

أولا: إثبات الوحي والرسالة فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا ولا يعرف عنه انه جالس أحبار اليهود والنصارى.

ثانيا: بيان ان الدين كله من عند الله من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد (صلى الله عليه وسلم).

ثالثا: بيان ان وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وان استقبال قومهم لهم متشابه.

رابعا: بيان الأصل المشترك بين دين محمد(صلى الله عليه وسلم) ودين إبراهيم (عليه السلام) بصفة خاصة ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة.

خامسا: بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين وذلك تثبيتا

---

(١) خطاب الحكاية: ٤٠١، وينظر أيضا عودة خطاب الحكاية: جيرار جنيت، ت محمد معتصم، ١٤ - ١٥.

(٢) السردية العربية: د. عبد الله إبراهيم، ٥١.

(٣) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب: ١١٨ - ١٢٦.

لمحمد صلى الله وعليه وسلم.

سادسا: تصديق التبشير والتحذير.

سابعا: بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه.

ثامنا: تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم.

تاسعا: بيان قدرة الله على الخوارق كقصة خلق آدم ومولد عيسى عليهما السلام.

عاشرا: بيان عاقبة الطيبة والصلاح، وعاقبة الشر والإفساد.

الحادي عشر: بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة.

لقد جاءت القصة القرآنية لتعمق العقيدة في النفوس وتبصر بها العقول وتسمو بالإنسان سموا روحيا وخلقيا ونفسيا واجتماعيا، كما جاءت أيضا بكثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان والحياة والأحياء في السماوات والأرض فضلا عما في القصة القرآنية من رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة وما فيها من المواقف والتحاليل النفسية التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم[1].

والقصة القرآنية هي قصة واقعية لا يجوز لأي كان ومهما كانت مسوغاته ان يشكك في صدقها، وقد وصفها الله تعالى بأحسن القصص إذ يقول في كتابه العزيز ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[2].

والقصة في الأصل حكاية الماضي البعيد او القريب، والإنسان لا يعيش بلا ماض، كما تتميز القصة عن الفنون الأدبية الأخرى بعنصر الزمن، والإنسان الذي يحس بالزمن من دون سائر المخلوقات مدعو إلى تحديد مكانه ودوره عبر خط الزمان الطويل الذي بدأ قبله ولم ينقطع عنده، بل سيطويه ليستمر بعده إلى ما

(١) القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته: د. فضل حسن عباس ١٠٠.

(٢) سورة يوسف/ الآية ٣.

شاء الله والى ان يرث الله الأرض ومن عليها. ومن إعجاز القرآن الكريم انه أيقظ في الإنسان الإحساس العميق بالزمن، بالموت، بالذاهبين، بالمقبلين، بالماضي، بالمستقبل، بالمصير، بالمسؤولية[١] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

لقد نظر الباحثون في زمن القصة القرآنية نظرة تاريخية وانحصر تفكيرهم في الزمن الطبيعي لذا جاءت أفكارهم محصورة في هذه الزاوية فحسب، إذ ذكر اغلبهم ان الزمن في القصة القرآنية لم يكن موجودا، مرتكزين في ذلك على ان أحداث القصص القرآني لم تكن مرتبة ترتيبا منطقيا كما انها لم تذكر زمن وقوع الحدث، ولم ترد إشارة للزمن الا في حدود الحاجة إليها.

ان من النقاد من يأخذ على القرآن الكريم عدم الترتيب في الزمن القصصي.. والجواب عن هذا المأخذ يفهم ما قرأناه مرارا في قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن وهو انه لم يقصد بها التاريخ او سرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها، وإنما أراد الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها. ومتى كان هذا هو الغرض منه فالواجب ان يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون ابلغ في التذكير وادعى إلى التأثير[٢].

لقد ذكر محمد احمد خلف الله إن من بين ظواهر الحرية الفنية في القرآن الكريم[٣]:

١ - إهمال القصة القرآنية مقومات التاريخ من زمان ومكان فليست في القرآن الكريم قصة واحدة عني فيها بالزمان.

٢ - اختياره لعدد من الأحداث دون غيرها.

٣ - كان لا يهتم بالترتيب الزمني أو الطبيعي في إيراد الأحداث وتصويرها

---

(١) في الأدب الإسلامي: محمد الحسناوي، ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج ١، ٣٦٧.

(٣) الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد احمد خلف، ٥١.

وإنما كان يخالف هذا الترتيب ويتجاوزه.

وذكر التهامي نفره في كتابة سيكولوجية القصة في القرآن الكريم (ان القصة القرآنية) لا يعنيها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة، ولا مدتها، إلا إذا كان أبعاد في تعيينها لقيمة الحادثة نفسها أما الترتيب الزمني للأحداث وما يتبعه من مراعاة الترتيب في الذكر والوقائع التاريخية فإن القرآن لم يلتزمه.. فالقرآن الكريم لم يهتم بالزمن حتى يرتب عليه الأحداث[١].

ان مثل هذا الكلام كان يمكن أن يكون مقبولا لو انه كتب في عصور سابقة، ولكن في هذا الوقت بعد ظهور النظريات الحديثة وبعدما تعددت مفاهيم الزمن لا يجوز الموافقة عليه فالزمن موجود و(ان انفلات أحداث القصة من الزمانية يجعلها خالية من الترابط الداخلي فالقصة المحكمة السبك تمسك الخيوط الزمنية بكل أطرافها، وهناك عدد من القصص يكون فيها الزمن هو المحرك للأحداث، فكل موقف فيها ينبثق زمنيا من الموقف السابق)[٢].

وبما أننا نبحث في القصة القرآنية، فالواجب ان يقتصر تركيزنا على الزمن السردي فيها، وما المفارقات إلا جزءا منه، تصور الإعجاز المشرق الذي تمثل به القرآن الكريم في أسلوبه ونظمه ولنفخر بعدها أن ما وصل إليه الغرب من تقنيات حديثة وما سيصل إليه من جماليات أدبية موجودة في القرآن الكريم وهذا جزء من التحدي الذي تحدى الله به الإنسان في كل مكان وزمان. ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[٣].

ان التحدي وقع بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه ان الله تعالى قد أحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن لمّ بإحاطته أي

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نفره، ٩٧.

(٢) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية: سليمان الطراونة، ٢٢٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢، ١٠٥.

لفظة تصلح ان تلي الأولى[١].

ومن خصائص القرآن (انه كتاب الزمن كله، انه كتاب الخلود، ليس كتاب عصر معين، او كتاب جيل او أجيال ثم ينتهي أمده)[٢]. وهو إيصال مطلق من الله إلى البشر فالوحي يقيم رابطا بين العظمة الإلهية وبين حركية الإنسان ونقصه، والقرآن على مستوى الوصول يدور في الزمن ويلامس البشر ويحقق الاتصال. لكننا نجد ان الزمانية أخذت تتفوق كلما ابتعدت الصيرورة عن ينابيع الرسالة. وقد غير الإسلام الاتصال وعضده من إرادة هدمه، واستخلص ما يستطيع ان يمتلكه من الفطرة السليمة والفعالة، والوحي لا يثبت نفسه في مكان واحد وفي شعب وفي عصر، فهو يقترح نفسه من اجل كل الشعوب من خلال تحولاتها هي نفسها في الزمن، ومن خلال تأثيرها الذاتي في الزمن[٣].

ان ترك التحديد الزمني للقرآن الكريم لا يعني ان القصص القرآني لم يحفل بالزمن التاريخي او الطبيعي، وعلى الرغم من ان الزمن التاريخي في القصة القرآنية ماض مطلق، لكن المسافة الزمنية تظهر فيه (بشكل غير مباشر) من خلال السياق القرآني والمعنى العام، فزمن آدم بعيد جدا وهو يسبق زمن نوح، وزمن إبراهيم يسبق زمن إسماعيل واسحق ويعقوب وهكذا، و(بشكل مباشر) في البعض الآخر من القصص، فالقرآن الكريم يخبرنا ان يوسف عليه السلام لبث في السجن بضع سنين، وان الفتية المؤمنة لبثوا في الكهف ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا، والعذاب الذي حل بقوم لوط كان في الصباح ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٤] ومجي إخوة يوسف إلى أبيهم بعدما ألقوا يوسف في الجب، كان في وقت العشاء ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٥]، ومن خلال المعنى

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاوي، ٦٣.

(٢) القرآن وعلم القراءة: جان بيرك، ت منذر عياش، ٥٥، ٧٤.

(٣) القرآن وعلم القراءة: جان بيرك، ت منذر عياش، ٥٥، ٧٤.

(٤) سورة هود/الآية ٨١.

(٥) سورة يوسف/ الآية ١٦.

القصصي تبين ان الطوفان حصل في النهار وليس في الليل بدليل ان نوحا عليه السلام تعرف على ابنه والمحاورة التي حصلت بينهما، وهكذا.

اما الترتيب الزمني في القصة القرآنية فقد جاء متداخلا وتكثر فيه المفارقات الزمنية وعن طريق هذه المفارقات حققت القصة أغراضا كثيرة، فهي تهتم بالحدث الذي يناسب الغاية التي ذكر من اجلها، وسنحاول من خلال المفارقة الوصول إلى عدد من تلك الغايات والأغراض لنجد مرة أخرى (ان القرآن الكريم، وهو يعمد دوما إلى الإثارة والتأثير وتحريك منبهات النفس اهتم بكل مظاهر التناسق، وبأسلوب العرض، ليبرز في جماله الفني الرائع، وليأخذ طريقه إلى النفس بطواعية النفس وانفتاحها. وأسلوب العرض في القرآن الكريم ياخذ أشكالا متعددة لا حبا في التعدد بل تبعا للموضوع وعلى حسب متطلبات المغزى والهدف)[1].

والقرآن الكريم ارتاد جوانب الذات البشرية فكشفها اصدق كشف، بأسلوبه الفني الذي انعكس على حياة الفرد بتجاربه وملاحظاته، وتنقله إلى عالم متحرك يلمس على مسرحه مشاهد ونماذج بشرية، تحمل طابع التكرار، وصفة الديمومة، في كل آن من الزمن، انه يستوعب تجارب ناضجة خصبة، حية او معاني عميقة وسامية، وتعاليم موجهة، موحية، ومحور القرآن هو الإنسان والكشف عن حقيقته، وبيان خفاياه، وعرض خيره وشره[2].

وأخيرا فلا بد من ذكر تقسيم للزمن في القصة القرآنية قام به جان بيرك ينحو في اتجاهاته نحو الزمن الماضي والحاضر والمستقبل وقد حدد في هذا التقسيم منظورات ثلاثة هي[3]:

١ - منظور الزمن المعاش الفعال ويمثل الحاضر.

٢ - منظور الزمن المسند والذي يرجع إلى الماضي.

٣ - منظور الزمن المسقط، والذي يهدف إلى المستقبل.

فالمنظور الزمني المعاش هو زمن المنازعات والمعارك وانه لزمن يجد

---

(١) الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، ٢١١.

(٢) الإعجاز الفني في القرآن: ١٥.

(٣) القرآن وعلم القراءة: ٦٥.

تعبيره عن ذاته في القرآن الكريم من خلال آيات كثيرة، وهو زمن المحنة والامتحانات بالنسبة إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، والزمن المسند الذي يرجع إلى الماضي فالقرآن يمثل إجمالا ونهاية للأديان القديمة ونسبة إلى كل ما له سمة تتعلق بتاريخ الكوارث التي حلت بالحضارات التاريخية وانه لكذلك بالنسبة إلى ما قبل التاريخ. اما الزمن المسقط فهو نداء النهايات الأخيرة واللجوء إلى اليطوبيا والى كل الذي يتعلق بيوم البعث والحساب.

الفصل الأول
الاسترجاع

١ - بناء الحدث.
٢ - الاسترجاع الخارجي.
٣ - الاسترجاع الداخلي.
٤ - الاسترجاع المزجي.

مدخل

حفل القصص القرآني كثيرا بالمفارقة الزمنية المتمثلة بحركتي الزمن (الاسترجاع - الاستباق)، وقلما نجد قصة تخلو منهما، وهي بهذه المفارقة تحقق أغراضا متنوعة تتوزع بين (الجمالية والوعظية والابلاغية والاعجازية). وقد تغيرت نظرة الناقد التي كانت تعطي أهمية كبيرة للترتيب الزمني على وفق مبدأ السببية، إذ يكون (أ) اسبق من (ب) لأن (أ) هي العلة في حصول (ب) و(ب) تأتي بعد (أ) لأنها التواصل المنطقي لها، وأصبح الرجوع إلى الماضي حيث التذكر والاستدراك وجمع الخيوط التي لها علاقة بالحدث الرئيسي او القفز إلى الأمام من خلال التوقع والتنبؤ بما سيحصل لاحقا سمة العصر والجمالية التي يبحث عنها الكاتب، ولعل تغير ظروف الحياة والتطور السريع الذي أصاب البشرية طبع بصماته على البنية السردية للقصة، وصار الترتيب التتابعي في السرد يدعو إلى الملل والضجر، وانطلقت الدعوات إلى الاعتماد على بناء سردي متداخل حيث (التمازج الكلي بين القبل والبعد او الماضي والمستقبل يسبق المقولات الموضوعية ويلف بشموله جميع أحداث الليلة الواحدة، او مخزون الخبرة المتراكمة من خلال فسحة العمر الواحدة)[1].

لقد أصبحت المآخذ التي سجلت على القصة القرآنية من انها لم تعتمد التسلسل المنطقي للأحداث ولم تهتم بالترتيب الزمني سمات جمالية جعلتنا في غنى عن إيجاد المسوغات المقنعة لذلك (فغياب التسلسل الزمني للحدث لا يعني الغاء للزمن او تحجيما لدوره بل هو استخدام جديد له)[2] والقرآن الكريم بأسلوبه الأخاذ الذي اعجز البشر في كل مكان وزمان وضع كل كلمة فيه موضعا يؤدي غرضا لا يؤديه غيره، وهذا احد أسباب إعجازه. والاسترجاع يمثل الحركة الأولى في المفارقة الزمنية، وهو يعني العودة إلى الوراء لاستدعاء أحداث سابقة وقعت في

---

(١) الزمن في الأدب: هانز ميرهوف، ترجمة اسعد رزوق، ٣١.

(٢) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: عبدالله إبراهيم، ٣٩.

الماضي يلجأ إليها الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم الأحداث(١)، وعقد المقارنات بين الماضي والحاضر وملاحظة التغييرات التي طرأت خلال الفترة الزمنية التي انقضت(٢)، كما ان الاسترجاع يمثل نوعا من الذاكرة القصصية التي توقف السرد المتنامي لتعود به إلى الوراء حيث يعلل ويفسر جوانب الحاضر المظلمة(٣)، ويعد من تقنيات الإخراج السينمائي الحديث الذي انتقل إلى الفن الروائي، ويسمى هذا الأسلوب بالفلاش باك، إذ يعيد الأحداث إلى الوراء ليكون في الفيلم مشهدا إضافيا يسعى لتذكير المتفرجين بحادث سابق(٤).

وقد سمي الاسترجاع بعدة تسميات مثل (الاستذكار(٥)، اللاحقة(٦)، الرجعة(٧)، الارتداد(٨)، الاستحضار(٩)، الارتجاع الفني)، كما أخذ تقسيمات وتشكيلات متنوعة منه(١٠):

١ - الذاتي: ويتصل بالشخصية للتذكير بماضيها.

٢ - الموضوعي: ويتصل بالسارد لإعطاء المعلومات والاضاءات.

٣ - التكميلي: لملء ثغرات سبق القفز عليها.

٤ - التكراري: التذكر بماضي الحكي.

٥ - الاستطرادي: وهو الانطلاق من الاسترجاع إلى الحذف المؤجل ثم إلى الاسترجاع.

---

(١) بناء الرواية: د. سيزا قاسم، ٥٤.

(٢) تقنيات السرد عند غادة السمان، فيصل غازي، رسالة ماجستير، ٢٨.

(٣) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: إبراهيم جنداري، أطروحة دكتوراه، ٩١.

(٤) فن المونتاج السينمائي: كاريل رايس، ت احمد الحضري، ط٢، ٤١.

(٥) بنية الشكل الروائي: ١٢١.

(٦) مدخل إلى نظرية القصة: ٧٦.

(٧) قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار: ٩٦.

(٨) مدخلا إلى التحليل البنيوي الشكلي للسرد: يحيى عارف الكبيسي، الأقلام، بغداد ع(٥ - ٦)، ١٩٩٧، ٥٧.

(٩) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: عبدالله إبراهيم، رسالة دكتوراه، ٤٧_٤٨.

(١٠) الشكل القصصي في القرآن الكريم: نبهان حسون، رسالة ماجستير، ٢٤٢.

٦ - التكثيف: يقلص المسافة ويختزلها.

٧ - الشفاف: يضيق المسافة نسبيا.

وقسم جيرار جينيت الاسترجاع على ثلاثة مستويات (خارجي، داخلي، مزجي)[١] وسنعتمد هذا التقسيم في دراستنا.

وللاسترجاع مدى يقيس (المسافة الزمنية الفاصلة بين اللحظة التي يتوقف فيها المحكي واللحظة التي يبدأ منها الاختلال الزمني)[٢]. وقد حدد جنيت ثلاثة مديات للاسترجاع وهي[٣]:

١ - المدى الأسطوري.

٢ - المدى البعيد نسبيا.

٣ - المدى القريب.

ان مدى الاسترجاع في القصة القرآنية إذا استبعدنا لفظة المدى الأسطوري لما قد تثيره من إشكالية في التعبير، يتوزع بين ماض بعيد جدا وهذا ما نجده في قصة عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤]، فهذا الاسترجاع يعود إلى بداية خلق الإنسان، وهو استرجاع بعيد جدا، وماض بعيد نجده في قصة يوسف عليه السلام ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥]. وهذه الاسترجاعات الموجودة في الآية باستثناء (وجاء بكم من البدو) هي استرجاعات بعيدة تعود إلى طفولة يوسف عندما رأى في منامه احد عشر كوكبا

---

(١) بناء الرواية: سيزا قاسم، ٥٤.

(٢) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: جيرار جينيت، ١٢٤.

(٣) بنية الشكل الروائي: ١٢٢.

(٤) سورة آل عمران / الآية ٥٩.

(٥) سورة يوسف / الآية ١٠٠.

والشمس والقمر يسجدون له وما جرى بعد ذلك.

وماض قريب (آيات او لحظات) ويتوضح ذلك عندما يقص احد شخوص القصة ما شاهده في منامه او يقظته، فرؤيا إبراهيم عليه السلام عندما يرويها لابنه إسماعيل ﴿ يَبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ...﴾ [١]، او رؤيا الملك ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[٢]، او قيام الهدهد بإخبار سليمان عليه السلام بما شاهده في سبأ، كلها استرجاعات قريبة المدى.

ومثلما حدد النقاد مدى للاسترجاع جعلوا له سعة تتمثل في المساحة المكانية التي يحتلها ضمن زمن السرد وتقاس بالسطور والفقرات في الرواية وبعدد الآيات في القصة القرآنية. وليست هذه السعة ذات قيمة حسابية فحسب وإنما بوسعها ان تدلنا على نسبة تواتر العودة إلى الماضي والغايات الفنية التي تحققها الرواية من ورائه، كما توضح طبيعة التداخلات السردية التي تأتي لتعرقل انسياب الاسترجاع بوساطة توقفات عارضة وذات إيقاع تصعب مراقبته[٣].

ومن المفيد أن نتعرف على الكيفية التي يتم بها الاسترجاع، إذ انها تتوزع بين طريقة السرد التقليدي والتي يعود فيها راوي الأحداث إلى رواية الأحداث الماضية، او عن طريق الشخصية القصصية نفسها بالاستعانة بوسائل (تيار الوعي) وهي وسائل اكتسبتها الرواية من السينما ومنها (الارتداد إلى الماضي، فلاش باك)الذي يمثل نوعا من أنواع السرد الذاتي الذي يمكن ان نطلق عليه (السرد الصامت) حيث الاستفادة من تكنيك (المونولوج الداخلي) في رواية الوعي.

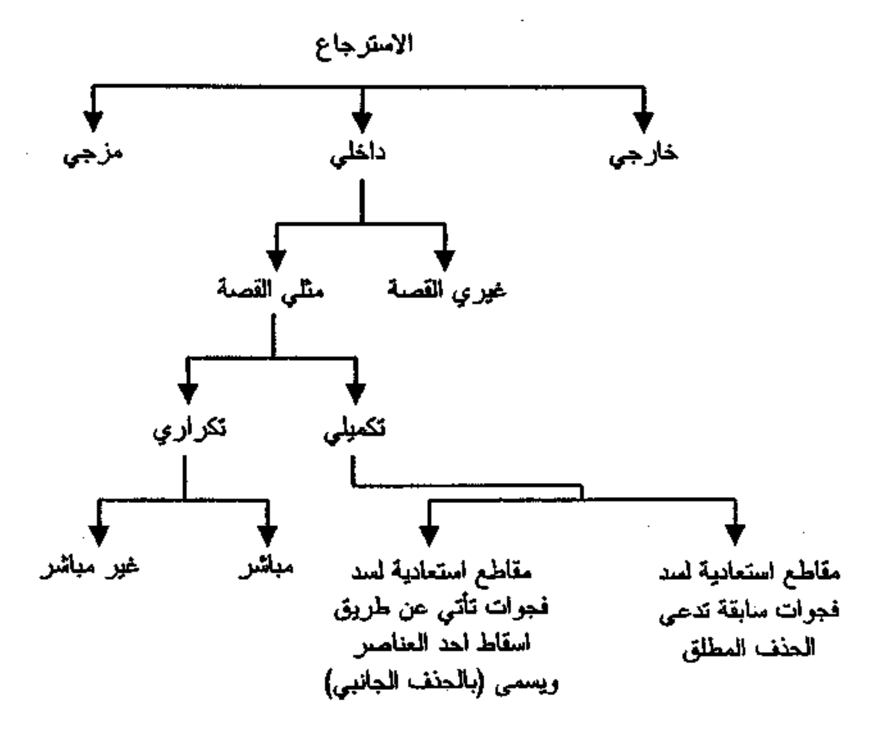
---

(١) سورة الصافات / الآية ١٠٢.

(٢) سورة يوسف / الآية ٤٣.

(٣) بنية الشكل الروائي: ١٢٥.

وعودة الى بدء، اي الى مستويات الاسترجاع الثلاثة التي قسمها جينيت، نضع مخططـــا يوضح هذه التقسيمات:



ان لكل نوع من هذه الانواع اغراضه الخاصة به وغاياته التـــي يســـعى الـــى تحقيقـــها ومدياته المختلفة ومساحته التي يشغلها والتي تختلف من نوع لاخر.

المبحث الأول
بناء الحدث

يتداخل الزمن كليا مع الحدث فهو (العلامة الدالة على مرور الوقائع اليومية، وهو إطار يشمل كل الأحداث ويضفي عليها صفة الانتظام)[1]، ويحدد مع المكان ملامح عنصري القصة الآخرين (الشخصية، الحدث). وعلى هذا كان لا بد من وجود بناء زمني رصين تقوم عليه الرواية، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان التسلسل الزمني في القصة هو تسلسل وهمي يتحقق في ذاكرة القاص او زمن النص[2] وذلك لاختلاف زمن الحكاية عن زمن القص، فالقص لا يستطيع ان يروي حدثين يقعان في وقت واحد كما حدثا في الحكاية، إذ لا بد ان يرتب حدثا بعد آخر ترتيبا تتابعيا[3]. ومن خلال ذلك الترتيب نجدنا أمام أبنية متعددة يستخدمها الراوي على حسب الحاجة إليها، وقد قسمت تقسيمات عدة وتصنيفات متنوعة. وبدءا مع الشكلانيين الروس، نجد ان الأبنية الزمنية قد صيغت في مجموعة من الأنساق أهمها: التتابع، التضمين، التنضيد، التوازي، الدائري، او الحلقي، ونسق الخلط[4] فيما اختزل تودوروف بناء الحدث إلى ثلاثة انساق وعلى حسب ترابط العلاقات الموجودة بين القصص وهي (التسلسل، التضمين، التناوب)[5]. وقسم عبدالله إبراهيم أبنية الزمان على أربعة أقسام هي (المتتابع، المتداخل، المتوازي، المكرر)[6]. وقد لاحظنا عبر الشواهد القرآنية وجود ستة أبنية اعتمد عليها القص القرآني وهي:

---

(١) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١٧.

(٢) مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية: نجيب العوفي، ١٣٣.

(٣) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: د. حميد الحمداني، ٧٣.

(٤) نظرية المنهج الشكلي: ١٢٢ - ١٥٢.

(٥) مقولات في السرد الأدبي: تودوروف. ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا، مجلة آفاق ع٢ (٨ - ٩)، ١٩٨٨.

(٦) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٢٧.

١ - البناء المتتابع او المتسلسل[(١)]:

وهو البناء الذي تتابع فيه الوقائع تتابعا منطقيا يعتمد على السببية، وفيه يبدأ السرد من نقطة الصفر وينطلق إلى الأمام من دون الرجوع إلى الماضي او القفز إلى أحداث استباقية الا في فترات قصيرة لا تؤثر في الإطار العام للقصة. وقد كان هذا البناء هو السائد في الرواية القديمة وربما يعود ذلك إلى تأثير فن الخبر التاريخي في الفن القصصي[(٢)]. (ويرى بعض النقاد ان هذا النمط من البناء ملازم لفن القص، وبدونه لا يمكن ان يتحقق الشرط الفني لفعل القص فإذا انعدم التتابع تلاشت القصة وتحولت إلى لوحة وصفية لا يربط عناصرها الا التجاور المكاني)[(٣)]. ومن مميزات هذا البناء، الاستهلال المتميز الذي يقدم إطارا عاما يحدد زمان الحدث ومكانه ويرصد تطوره[(٤)].

وبصورة عامة نجد ان القصص القرآني في معظمه يعتمد البناء التتابعي، فالقصة القرآنية تنطلق مع بداية الحدث ثم تسير على شكل نسق متصاعد ينتهي بنهاية الأحداث. ومثالا على ذلك نجد ان قصة يوسف عليه السلام في إطارها العام قد بنيت على التتابع فهي تبدأ مع الرؤيا التي رآها يوسف ثم تتصاعد الأحداث تصاعدا منطقيا حتى تنتهي بتحقق الرؤيا. ويمكن تتبع بناء القصة على وفق خطوطها الرئيسة بحسب مواقعها الزمنية الآتية[(٥)]:

---

(١) ذكر عماد عبد يحيى أربعة أبنية للحدث في القصة القرآنية هي (التتابع، المتداخل، المكرر، التضمين) انظر رسالة الدكتوراه المرسومة البنى والدلالات في لغة القصص القرآني: عماد عبد يحيى.

(٢) المتخيل السردي: عبدالله إبراهيم، ١٠٨.

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، ٣٢٢.

(٤) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٢٩.

(٥) المواقع الزمنية: هي التبدلات التي تتم في إطار المقطع السردي وهي محددة بالمؤشرات الزمنية التي تنقسم على قسمين، أ - المعينات الزمنية(الآن، أمس، غدا، بعد غد)، ب - أزمنة الأحداث في اختلاف بعضها عن بعض اما عبر الانتقال من حدث لآخر دون إشارة من جهة او باستعمال المعينات الزمنية التي تميز بين أزمنة وقوع هذه الأحداث او تلك. ينظر تحليل الخطاب الروائي لسعيد يقطين، ٩٧.

١ - يوسف يقص الرؤيا التي رآها في منامه على أبيه.

٢ - تآمر إخوته عليه وإلقائه في الجب.

٣ - يوسف يباع بثمن بخس ويؤخذ إلى مصر.

٤ - يوسف في بيت العزيز.

٥ - مراودة امرأة العزيز له، ودخول السجن على اثر ذلك.

٦ - وضوح مقدرة يوسف على تأويل الرؤيا بعد لقائه بفتيين يدخلان معه السجن.

٧ - الملك يرى في منامه رؤيا تعجز حاشيته عن تفسيرها.

٨ - يوسف يفسر رؤيا الملك.

٩ - خروج يوسف من السجن بعد ظهور براءته.

١٠ - يوسف يصبح وزيرا للملك.

١١ - قدوم إخوته إلى مصر للحصول على الحبوب.

١٢ - يوسف يطلب منهم إحضار أخ لهم من أبيهم.

١٣ - يوسف يدبر لأخيه حادثة السرقة ليبقيه عنده.

١٤ - يوسف يكشف عن نفسه لإخوته ويطلب منهم إحضار أهلهم جميعا إلى مصر.

١٥ - تحقق الرؤية الأولى بمجيء آل يعقوب وسجودهم ليوسف.

لقد أطرت السببية نفسها في ترتيب القصة، كما ان استهلال القصة من خلال قيام يوسف بقص رؤياه على أبيه قد وطد للأحداث القادمة، وقد اتضح ذلك الاستهلال أكثر عندما تنبأ يعقوب بما سيحصل عليه يوسف في المستقبل ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾[1].

(١) سورة يوسف / الآية ٦.

٢ - البناء المتداخل:

إذا كان البناء المتابع هو السائد في العصور الماضية، فإن تداخل الأحداث أصبح سمة العصر ومثل خروجا لعدد من الروائيين عن أسلوب التتابع وفي مقدمة هؤلاء جيمس جويس ومارسيل بروست، وفرجينيا وولف، وحالة تمرد على البناء القديم، وصار خروج الرواية على النمط التقليدي في ترتيب الأحداث يمثل دلالة فنية تركز على الحدث وتجعله بؤرة الاهتمام[1]. (فاللعب بالأزمنة عمل جمالي بحت لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والوجود وإنما من حيث الصياغة والترتيب)[2].

وكلما كان البناء أكثر تركيبا من حيث تداخل الأشياء بعضها في بعض، احتاج العمل إلى مزيد من الإدراك والتأمل وبالتالي تتضاعف المتعة الجمالية لدى متأمله[3].

ان البناء المتداخل يصوغ الأحداث على شكل متناثر لا يعتمد السببية في ترتيبها وإنما يعتمد أهمية الحدث من خلال قربه او بعده من الغاية التي يهدف المؤلف إلى تحقيقها، وعلى القارئ ان يعيد ترتيبها من جديد من خلال إدراكه لها، (فالإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، فقد يبدأ الراوي بشكل مطابق لزمن القصة ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع سابقة في ترتيب زمن السرد)[4]. وإذا كانت القصة القرآنية تعتمد في إطارها العام على البناء التتابعي، فهي في أحيان كثيرة تبني أحداثها على التداخل، فتكثر من الاسترجاعات والاستباقات، وهي بهذا لا تهدف إلى إضفاء الصفة الجمالية فحسب وإنما التركيز على الحدث الذي يفيد في الموعظة والاعتبار والغاية التي من اجلها ذكرت القصة.

لقد تداخلت الأحداث في قصة نوح عليه السلام مع ابنه مما جعل ذلك الحدث يلقي انتباها أكثر من غيره ويحاط بمزيد من التأمل ويوقع عددا من

---

(١) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٣٨.

(٢) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة: د. موريس أبو ناضر، ٨٥.

(٣) نقد الرواية: د. نبيلة إبراهيم، ٤٠،.

(٤) بنية النص السردي: ٧٤.

المفسرين في الاختلاف، فنوح عليه السلام دعا ابنه ان يركب السفينة معهم، لكن ابنه رفض ذلك وقال سآوي إلى جبل يعصمني، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين، ثم قضي الأمر وابتلعت الأرض مياه الطوفان لتعلن عن نهاية القوم المفزعة. ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾[1] **وبعد ذلك يأتي دعاء نوح** ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ﴾[2] **والاختلاف الذي حصل عند المفسرين، هل كان دعاء نوح قبل غرق ابنه ام بعده.**

لقد أشار الإمام الرازي في بعض تفسيره إلى أن دعاء نوح كان قبل الغرق[3]، وهو الأقرب إلى الصحة، إذ ما فائدة الدعاء إذا كان الأمر قد انتهى، وقد قدم القرآن الكريم حادثة الغرق لما في ذلك من عبرة وموعظة، اما الأحداث التي تحكي لنا قصة نوح مع ابنه ففيها درس آخر يأتي بالمرتبة الثانية بعد الدرس الأول الرئيس، ولتوضيح التداخل الحاصل في هذه القصة نقسمها على الوحدات الزمنية الآتية وبحسب حصولها.

أ - نوح يدعو ابنه لركوب السفينة وابنه يرفض ذلك.

ب - نوح يشاهد ابنه وهو يغرق فدعا من الله ان ينقذه.

ج - لا يستجيب الله سبحانه وتعالى لدعاء نوح لأن ابنه كافر ويقع عليه ما يقع على القوم.

---

(١) سورة هود /الآيات (٤٢ - ٤٤).

(٢) سورة هود، الآية (٤٥).

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ج١٧، ٤، ينظر، قصص القرآن، جاد المولى، ٢٠، ينظر قوم نوح: بقوة الروح وليست بقوة النسب، محمود محمد عمارة، مجلة منبر الإسلام - القاهرة، العدد٤ لسنة ١٩٧٣.

د - نوح يعتذر من الله سبحانه وتعالى لأنه دعا لنجاة كافر وما ينبغي له ذلك.

ه - غرق ابن نوح والقوم معه.

و - انتهاء الأمر وعودة الحياة إلى طبيعتها.

فأحداث القصة في زمنها المنطقي تسير على الشكل الآتي:

أ ← ب ← ج ← د ← هـ ← و

أما أحداث القصة كما رويت في القرآن الكريم فقد سارت على الشكل التالي:

أ ← هـ ← و ← ب ← ج ← د

٣ - البناء المتوازي:

فضلا عن البناء المتداخل ظهر بناء آخر ولكن بنطاق ضيق، سمي بالبناء المتوازي، والمقصود به توازي الوقائع في القصة او عرض حكايتين او أكثر في وقت واحد[١] وهو من الأنساق الحديثة التي قطعت كل صلة تربطها بالحكي الشفوي وقد اسماه تودوروف بالتناوب[٢].

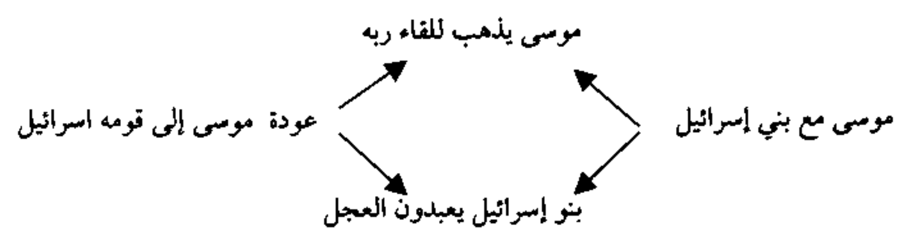
يعتمد البناء المتوازي على تقسيم حدث الرواية على محاور تتوازى في زمن وقوعها وتتباعد أماكنها، وتنهج نهجا خاصا بها تتطور فيه إلى أن تلتقي في نهاية الرواية او قد تظل مطلقة[٣]. أما إذا كان التوازي بين قصتين او أكثر فيقوم على سرد وحدات مختلفة بينهما تحدث في زمن واحد. وقد عززت المستحدثات السينمائية هذا النسق من البناء من خلال استخدام وسيلة السينما في (المونتاج) فضلا عن وسائل فرعية أخرى مثل (المنظر المضاعف)، (اللقطات البطيئة)،

(١) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٦٦.

(٢) القراءة والتجربة، سعيد يقطين: ١٥٢.

(٣) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٥٤.

(الاختفاء التدريجي)، (القطع)، (الصور عن قريب)، (المنظر الشامل)، (الارتداد)[١]. وقد ورد البناء المتوازي بترجمات عدة منها (التعاصر، التداول، التزامن، التواقت)[٢] فضلا عن مصطلحي التوازي والتناوب. وقد ورد هذا البناء في قصة موسى عليه السلام، عندما تأخذ الأحداث شكلا آخر يفترق فيها موسى عن بني إسرائيل، فيذهب للقاء ربه ويستخلف هارون عليهم، لكن بني إسرائيل نقضوا عهدهم واتخذوا العجل الذي صنعه لهم السامري، وهكذا ينشطر الحدث إلى شطرين، تمثل الأول في ذهاب موسى للقاء ربه، والثاني في اتخاذ بني إسرائيل العجل، وهما محوران حصلا في زمن واحد واختلفا في المكان، ثم التقيا بعد عودة موسى. يقول الله تعالى في سورة طه ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ﴾[٣] وهذا المخطط يبين البناء المتوازي في قصة موسى:



ان المحورين اختلفا في الهدف والمكان، فهدف موسى تقديم الطاعة لله وتنفيذ أوامره وهدف بني إسرائيل عبادة العجل، والمكان الذي ذهب اليه موسى هو ليس المكان نفسه الذي بقي فيه بنو إسرائيل بدلالة قوله تعالى (ولما رجع موسى إلى قومه..) والرجوع يتطلب مكانا آخر غير المكان الذي رجع اليه. وقد جمعهما زمن واحد. ثم لا يلبثان ان يلتقيا في مكان واحد هو المكان الذي كان فيه بنو إسرائيل، وهدف واحد هو التوبة والاستغفار، فبنو إسرائيل يستغفرون لذنوبهم

(١) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٦٦.

(٢) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٥٥.

(٣) سورة طه، الآيات (٨٣ - ٨٦).

وموسى عليه السلام يستغفر لهم، مع فارق الاستغفارين.

ومن الأمثلة على التوازي في قصتين ما نجده في قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، ففي الوقت الذي جاءت فيه الملائكة إلى إبراهيم يبشرونه بإسحاق، كان لوطا يعاني الأمرين من قومه بسبب جهلهم وضلالتهم والجامع بين القصتين هم الملائكة الذين أمروا بالذهاب إلى إبراهيم، ومن ثم إنزال العقاب بقوم لوط، إضافة إلى الزمن الذي جمع القصتين بقوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] ففي القصتين حدثان يسيران في زمن واحد ويختلفان في المكان مع ان هناك علاقة تربطهما معا. ولم يذكر القرآن الكريم إذا كان إبراهيم ولوط قد التقيا بعد ذلك ام لا.

وهكذا نلاحظ في هذا البناء سمات معينة تختص به وهي[2]:

١ - تزامن الوقائع، فالأحداث تسير في زمن واحد.

٢ - تعدد الأمكنة وتباعدها.

٣ - طبيعة العلاقات التي تربط الوقائع وهي اما علاقات سببية، او علاقات سردية تتجاوز فيها الوقائع.

٤ - البناء المكرر:

وهو البناء الذي تتعدد فيه رواية الحدث الواحد، تبعا لتعدد الرؤى[3]. وهذا

---

(١) سورة الذاريات / الآيات (٢٤ - ٣٤).

(٢) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٥٨ - ٥٩.

(٣) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٥٨ - ٥٩.

التعدد يحمل معه في كل مرة شيئا جديدا يضاف إلى القديم، وهو يتم من خلال عنصر روائي جديد هو الزمن من حيث هو بعد وظيفي يمثل الحدث الروائي ومن حيث هو وعي الشخصية الرئيسة بدلالة هذا الحدث[1]. وهكذا نجد ان (التطور هو في الوقت نفسه قطيعة التكرار بوساطة انبثاق الجديد وبروزه وإعادة بناء للتكرار باستيعاب الجديد وتمثيله)[2].

وإذا وقفنا على درجات التكرار في بنية الحكاية، نلاحظ أمرين هما[3]:

أولهما: تعدد مستويات التكرار.

ثانيهما: ان مصدر التكرار يرتبط بشخوص الحكاية الرئيسين.

ومن الخصائص الفنية للتكرار[4]:

١ - توقف جريان الزمن، إذ ان تكرار الوقائع أكثر من مرة يوقف جريان الزمن، الا ما يحدث ضمن مستوى الرؤية الأولى.

٢ - ثبوت المكان وعدم تعدده.

٣ - ظهور المقترب السردي للحدث، ونعني به التقاء الرؤى المختلفة على مشهد بعينه وتكراره أكثر من مرة.

لقد استخدمت القصة القرآنية البناء المكرر لتفيد منه في تفصيل ما أجمل وإجمال ما فصل وعلى حسب الحاجة لذلك، كما انها تعطي معلومات إضافية لم يعطها سرد الحدث في المرة الأولى، وقد اخذ التكرار في القصة القرآنية شكلين متميزين هما:

الأول: تكرار القصة بكاملها من خلال إعادة بنائها مرة أخرى او أكثر وهي سمة بارزة في القرآن الكريم، فنجد مثلا ان قصة آدم تتكرر في مواضع شتى وكذلك قصص نوح وإبراهيم وموسى.. وهكذا، وهي في كل مرة تأخذ لها غرضا

---

(١) بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ: د. بدري عثمان، ١٥٧.

(٢) من اجل سيميائية تعاقبية للرواية: فلاديمير كريزنسكي، عرض عبد الحميد عقار، مجلة آفاق، ١٦٣.

(٣) السردية العربية: عبدالله إبراهيم، ١١٣.

(٤) البناء الفني لرواية الحرب في العراق، ٦٧ - ٦٨.

يختلف عن الآخر.

الثاني: تكرار الأحداث في النص القصصي الواحد. فقصة أهل الكهف تأتي في بداية السورة مجملة، إذ تذكر الخطوط العامة لأحداثها ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ﴾[1] وتستمر إلى ثُمَّ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ۞ ﴾[2]. وبعدها يعاد سرد الأحداث ولكن بتفصيل أكثر﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۞ ﴾[3] وتستمر أحداث القصة إلى أن تلتقي مع السرد الأول في (وكذلك بعثناهم). لقد تكررت رواية الأحداث، لكنها حملت في كل مرة رؤية جديدة تختلف عن الأخرى. وبعد ان تتوحد الروايتان في (وكذلك بعثناهم..) تستمر القصة في تكملة أحداثها وَكَذَٰلِكَ ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[4] وهكذا نجد في التكرار الثاني توقفا للزمن الصاعد ورجوعه إلى الوراء، وتكراره مرة ثانية، كما ان المكان هو نفسه في الروايتين وهو الكهف.

وفي قصة عاد في سورة هود، يأتي سرد القصة مفصلا ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۞ ﴾[5] وتستمر القصة لتحكي مكابرة القوم وعنادهم وكفرهم برسولهم، ثم ينجي الله هودا وينزل عقوبته على قومه وتنتهي القصة، لكن الآية الأخيرة من القصة تعود لتجمل

(١) سورة الكهف، الآيات ٩ - ١١.
(٢) سورة الكهف، الآية ١٢.
(٣) سورة الكهف/ الآية. ١٣.
(٤) سورة الكهف/ الآية ١٩.
(٥) سورة هود، الآية - ٥٠.

لنا قصة هود بآيتين﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ ﴾[1]. وسرد القصة مرة ثانية هو تكرار لها، قد أجمل ما فصل.

وفي قصة موسى مع العبد الصالح يتكرر قول العبد الصالح (انك لن تستطيع معي صبرا) ثلاث مرات وهو تكرار لفظي تطلبه مقام القصة إذ ذكر ليؤكد حقيقة مهمة هي ان الإنسان مهما بلغ من العلم فلن يصل منتهاه، فهناك من هو اعلم منه، كما تظهر حالة التواضع التي يجب ان تلازم طالب العلم، فقد تواضع موسى عليه السلام عندما وافق على تنفيذ ما طلبه منه العبد الصالح وان كان ذلك فوق طاقته التي بينها العبد الصالح نفسه ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ ﴾[2].

٥ - التضمين:

شمول القصة الرئيسة على مجموعة من القصص القصيرة[3]. ترتبط معها بمجموعة من العلاقات كما نجد ذلك في قصص الف ليلة وليلة. ويشير تودوروف إلى أن الحكاية المتضمنة تدرك بحكاية ثانية معناها خفي وتنعكس في الصورة التي تقدمها عن ذاتها[4]. ويتحقق التضمين على مستويين هما[5]:

١ - مستوى الحكاية، فتكون الحكاية المقحمة في الحكاية الأصلية مثلا مصغرا عنها.

٢ - مستوى الرواية، إذ يقطع حبل الرواية الأصلية لتبدأ رواية أخرى تتضمن الأولى.

---

(١) سورة هود، الآيتان (٥٩ - ٦٠).

(٢) سورة الكهف، الآيتان (٦٧ - ٦٨).

(٣) نظرية الأدب: ويليك وداربن، ترجمة محيي الدين صبحي، ٢٨٩.

(٤) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ٧٣.

(٥) م. ن.

ومن حيث العلاقة التي تربط الحكاية الأصلية بالحكاية المضمنة نجدها[1]:

أ - علاقة سببية، فتكون الحكاية الثانية تعليلا للحكاية الأصلية وشرحا لها.

ب - علاقة محورية، تكون الحكاية الداخلية متطابقة مع الحكاية الأصلية فتعزز أثرها، او متناقضة معها فتبرزها بالضاد.

ويرى عدد من النقاد ان التضمين يمكن ان يعد (نوعا من أنواع السرد المتقطع، بحيث يتوقف فيه الزمن المتصاعد من الحاضر إلى المستقبل ويتوازى مفسحا المجال لاستعراض حكايات فرعية أخرى ذات مسارات زمنية مخالفة)[2].

ويتحقق التضمين في قصة مريم، إذ تبدأ القصة بنذر ام مريم ما في بطنها محررا لخدمة المعبد ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] ويتكفلها زكريا ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4] إلى هنا والسرد يتصاعد في قصة مريم لكنه يتوقف ليبدأ بسرد قصة أخرى هي قصة زكريا ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ

---

(١) البناء الفني لثلاثية البحر لحنا مينا: محمد علي، رسالة دكتوراه، ٩٢.

(٢) م. ن.

(٣) سورة آل عمران /الآيتان ٣٥ - ٣٦.

(٤) سورة آل عمران / الآية ٣٧.

كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[١]، لقد حاول القرآن الكريم ان يلفت انتباه أهل الكتاب إلى قدرة الله تعالى من خلال قصة زكريا ليصل إلى الغرض الرئيس في ان مريم وابنها المسيح عليهما السلام في وجوده منها بلا أب آية من آيات الله تدعو إلى العجب والاستغراب[٢]، لمخالفته قانون الطبيعة وهي تشبه إلى حد ما ولادة يحيى في كونهما يمثلان قدرة الله على اختراق قانون الطبيعة وتغييره متى شاء ذلك.

٦ - البناء الدائري:

وفيه ينتهي السرد عند نقطة البداية، ففي الوقت الذي نظن ان القصة قد انتهت، نفاجأ ببداية القصة من جديد، ومن خلال هذه البداية تتوضح الصورة فيما جرى من أحداث، وبمعنى آخر (تبدأ القصة عند نقطة نهاية أحداث الحكاية ثم تعرض ما سبقها لتنتهي عند نقطة بدايتها مجددا)[٣].

لقد تمثل البناء الدائري في القصة القرآنية في قصة البقرة التي أمر الله فيها بني إسرائيل ان يذبحوها[٤] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٥] ثم تتصاعد أحداث القصة، ويجادل بنو إسرائيل موسى في أمر البقرة إلى أن يذبحوها ويخيل للقارئ ان القصة قد انتهت وإذا بها تعود إلى نقطة البداية والى السبب الرئيسي الذي جعل موسى يطلب من قومه ان يذبحوا البقرة ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٦]. والقصة تقول ان رجلا ثريا من بني إسرائيل قتله وارثه الوحيد وألقى جسده أمام منزل احد الأشخاص فاتهم بقتله،

---

(١) سورة آل عمران / الآيات (٣٨ - ٤١).

(٢) القصة في القرآن الكريم: منير القاضي، مجلة المجمع العراقي، المجلد التاسع، ١٩٦١م، ٢٤.

(٣) الموصل فضاء روائيا: د. إبراهيم جنداري، الأقلام العدد، ٧ - ٨، ١٩٩٢، ٥٦.

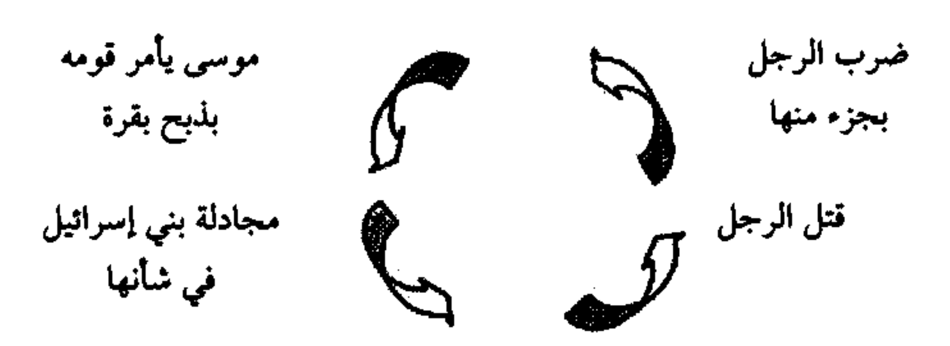
(٤) دراسة نصية (أدبية) في القصة القرآنية، د. سليمان الطراونة، ٢٣٥.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٦٧.

(٦) سورة البقرة/ الآيات ٧٢ - ٧٣.

ووصل الأمر إلى موسى وطُلب منه معرفة القاتل الحقيقي فأمرهم بذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها فأحياه الله، فسأله موسى عن القاتل فأشار إلى الوارث.

لقد مثلت هذه القصة بناء دائريا انتهى بالنقطة التي كان من المنطقي البدء منها، وقد بينت الآية الأخيرة من القصة السبب الذي أمر الله بموجبه بني إسرائيل ان يذبحوا البقرة وهذا مخطط دائري يوضح ذلك:



المبحث الثاني

الاسترجاع الخارجي

وهو استرجاع يعود بالقارئ إلى أحداث تسبق بداية السرد[1]، وتظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى[2]، ويحدد تلك السعة مداها الزمني الذي يخرج عن زمن الحكاية الأولى، وهذا لا يعني انها لا تتداخل معها فهي مكملة لها[3].

ويسعى الاسترجاع الخارجي إلى تحقيق الأغراض الآتية:

١ - إعطاء فرصة للقارئ في فهم الأخبار الأساسية في القصة عن طريق إعطاء معلومات إضافية وهي تسير على وفق خط زمني خاص بها لا علاقة له بسير الأحداث في القصة[4].

٢ - يحتاج الكاتب إلى هذا النوع من الاسترجاع في عدد من الافتتاحيات او عند ظهور شخصية جديدة للتعرف على ماضيها وطبيعة علاقاتها بالشخصيات الأخرى[5].

٣ - يلجأ إليها الكاتب لملء فراغات زمنية او سد ثغرة حصلت في النص القصصي[6].

٤ - إعادة عدد من الأحداث السابقة لتفسيرها تفسيرا جديدا في ضوء الأمور المتغيرة[7].

لقد جاءت الاسترجاعات الخارجية في القصة القرآنية واضحة، إذ وردت في قصص عديدة لكنها كانت اقل من الاسترجاعات الداخلية، ومع ذلك فقد

---

(١) بناء الرواية: سيزا قاسم: ٥٤.

(٢) خطاب الحكاية: جيرار جنيت، ترجمة، محمد معتصم، عبد الجليل ازدي، عمر حلي، ٦٠.

(٣) خطاب الحكاية: ٧٠.

(٤) قضايا السرد عند نجيب محفوظ: وليد النجار، ٩٦.

(٥) بناء الرواية: سيزا قاسم، ٥٤.

(٦) بناء الرواية: سيزا قاسم، ٥٤.

(٧) بناء الرواية: سيزا قاسم، ٥٤.

اتسمت بسمات منها:

١ - جاء اغلبها للتذكير بماضي الأمم السابقة، وقد تصدرتها عبارات (واذكروا، وجدنا آباءنا، ما يعبد آباؤنا، مثل يوم الأحزاب، فقد كذب أمم قبلكم....)[١].

٢ - وجاء بعضها لتذكير الإنسان بخلق الكون والتبصر به نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾[٢].

٣ - التذكير بماضي إحدى الشخصيات الرئيسة كما في قصة موسى عليه السلام (قال الم نربك فينا وليدا...)

٤ - ومن منظور مدى الاسترجاع فقد قربت الاسترجاعات الخارجية او غلبت عليها صفة البعيدة والبعيدة جدا وان جاءت في أحيان قليلة قريبة.

٥ - كانت سعة الاسترجاعات في اغلب الأحيان قصيرة تمثلت في آية واحدة او اثنتين باستثناء عدد قليل من القصص كقصة موسى عليه السلام.

٦ - سعت هذه الاسترجاعات إلى تحقيق أغراض معينة كالتعريف بحياة الأمم او إحدى الشخصيات أو بأساليب الدعوة لعبادة الله.

١ - ذكر الأمم الماضية وبداية الخليقة:

في قصة نوح عليه السلام وبعد ان أعيته الحجة في هداية قومه بسبب تماديهم في الضلالة حاول ان يوسع فكرهم إلى هذا الخلق الواسع العجيب في أسلوب جديد من أساليب الدعوة، فذكرهم بمقدرة الله العظيمة التي خلقت سبع سماوات والشمس والقمر فجعل الشمس سراجا والقمر نورا لتوافق الطبيعة هذين المخلوقين حياة الإنسان، وقبل ذلك ذكرهم كيف خلقهم الله من الأرض وجعلهم أطوارا وأنبتهم منها في إشارة إلى أن الإنسان خلق من الأرض ويعيش على ما تمنحه من طعام، كما بسطت له الأرض رداءها ليستقر فيها ويسلك منها سبلا

---

(١) ينظر السور والآيات الآتية على التوالي: الأعراف / الآية ٧٤، الأنبياء / الآية ٥٣، هود / الآية ٦٢، غافر /الآية ٣٠، العنكبوت /الآية ١٨.

(٢) سورة نوح / الآية ١٥.

فجاجا ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ ﴾[1].

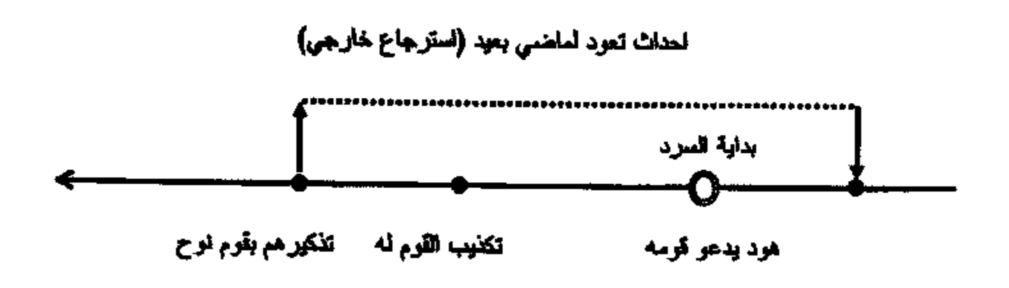
إن خلق السموات والأرض والشمس والقمر والإنسان أحداث تعود إلى بدء الخليقة وهي تمثل استرجاعا خارجيا بعيد المدى وسعته سبع آيات قصار.

ونجد في كثرة الأفعال الماضية (خلقكم، خلق الله سبع سموات، جعل القمر، جعل الشمس، أنبتكم، جعل لكم) صورا للاسترجاع الخارجي في القصة.

وتبدأ قصة هود مع قومه عاد، بالدعوة إلى عبادة الله ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾[2]. ثم يتوقف السرد المتنامي ليعود إلى الوراء، إلى قوم نوح من خلال هود الذي يذكر قومه بهم فيقول ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]. وهو احد أساليب الدعوة إلى الله وهذه العودة إلى الماضي تمثل استرجاعا خارجيا مداه بعيد وسعته آية واحدة. بعدها يعود السرد إلى التنامي مجددا ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ﴾[4].

وهذا المخطط يوضح الاسترجاع الخارجي الموجود في قصة هود:

(١) سورة نوح / الآيات (١٣ - ٢٠).
(٢) سورة الأعراف / الآية ٦٥.
(٣) سورة الأعراف / الآية (٦٩).
(٤) سورة الأعراف / الآية ٧٠.



وصالح عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وعدم الإشراك به فيقول لهم ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾(1) ويتوقف السرد في قصة صالح عليه السلام ليذكر قومه بقوم عاد وبالنعم التي أنعمها الله عليهم ليرجع السرد إلى زمن سابق لبدايته فيقول لهم ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾(2). وهذا الرجوع يشكل استرجاعا خارجيا مداه بعيد وسعته آية واحدة.

وفي سورة هود ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾(3) لقد جاء الرجوع إلى الماضي المتمثل في الفعل (كنت) ليوضح مكانة صالح في قومه قبل الدعوة، (أي أنهم كانوا يعرفون في صالح قبل الرسالة انه أكملهم كمالا وأحسنهم خلقا وأكرمهم نفسا)(4). وهو رجوع إلى ماض يسبق بداية السرد لذا فهو

(1) سورة الأعراف / الآية ٧٣.
(2) سورة الأعراف / الآية ٧٤.
(3) سورة هود / الآية ٦٢.
(4) إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب، ١٣٥.

استرجاع خارجي.

وإبراهيم عليه السلام يسأل قومه لم يعبدون هذه الأصنام؟﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾[1]. وهي حجة اتخذها قوم عاد وثمود من قبل وكأنهم يقولون لأنبيائهم، اسألوا آباءنا لماذا عبدوا الأصنام، وهم يعلمون ان عصر الآباء قد انتهى وجاء عصرهم وهم بهذه الإحالة إلى الماضي البعيد إنما يتهربون من الإجابة ويخلصون أنفسهم من الحرج الشديد الذي وقعوا فيه. وهكذا كان قوم إبراهيم وتلك حجتهم، ولتصحيح فهمهم وتوضيح خطأهم نبههم إبراهيم عليه السلام إلى أنهم وآباءهم كانوا في خطأ كبير وضلال مبين.

اما الأصنام فثمة سؤال، هل الأصنام قادرة على ان تضل الإنسان وتغويه وهي الحجارة التي لا تضر ولا تنفع ولا تعي ما حولها؟ إذا لم تكن كذلك فلماذا ينسب إليها إبراهيم عليه السلام انها أضللت كثيرا من الناس؟. ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾[2] وضلالة الناس أحداث حصلت في الماضي البعيد والقريب. وهو تعبير مجازي فالأصنام لا تضل في ذاتها وإنما الضلالة تأتي عن طريق عبادة الإنسان لها.

وفي موضع آخر من قصة إبراهيم في سورة مريم حاول إبراهيم ان يذكر أباه بمعصية الشيطان لربه كي يحذر منه. ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ ﴾[3] وهو رجوع إلى ماض بعيد جدا، إلى أول معصية ارتكبها الشيطان.

وتبدأ قصة بني إسرائيل من خلال وجودهم في المدينة المنورة وفي عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) اثر عدائهم له وتكذيبهم إياه وحياكة

---

(١) سورة الأنبياء / الأيتان (٥٣ – ٥٤).

(٢) سورة إبراهيم / الآية ٣٦.

(٣) سورة مريم / الآية ٤٤.

المؤامرات للقضاء على عودته[١] فجاءت الآيات في سورة البقرة كلها استرجاعات تذكر بني إسرائيل بما أنعمه الله عليهم وهي تمثل استرجاعا مفتوحا سيخصص له مبحث خاص به، وهذا لا يمنع ان يضم الاسترجاع المفتوح استرجاعات داخلية وخارجية، والمهم في هذه الاسترجاعات انها أكدت مسألة مهمة وهي ان بني إسرائيل كانوا بحاجة إلى تذكير في كل وقت وزمان، فقد كانوا سريعي الارتداد عن دينهم، وكانوا لا يأبهون لكثرة معاصيهم التي يرتكبونها، مقابلة بالنعم التي أنعمها الله عليهم وقد ذكرهم موسى من قبل والأنبياء الذين جاءوا بعده، وهكذا الأمر كان في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم). ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٢].

بدأت قصة بني إسرائيل في سورة البقرة بتذكير الله لهم بنعمه عليهم ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣] وهو نوع من الاسترجاع الخارجي الذي يرد في الافتتاحيات التي هي إحدى أغراض الاسترجاع الخارجي ثم يعود بعدها السرد المتنامي صعودا إلى الأمام حتى إذا جاءت الآية (ولقد آتينا موسى الكتاب...) نجدها توقف تصاعده لتعود به من جديد إلى الوراء وتشكل استرجاعا خارجيا آخر ينتقل بين عهد موسى وعيسى. فقد جاءهم موسى بالتوراة فحرفوها بما تهوى أنفسهم وجاءتهم الرسل والأنبياء من بعده يحكمون بشريعة الله، ومن ثم جاءهم عيسى ابن مريم بالبينات لكن بني إسرائيل عاملوا الأنبياء من بعده أسوأ معاملة ففريقا كذبوا وفريقا قتلوا وما ذلك الا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة

---

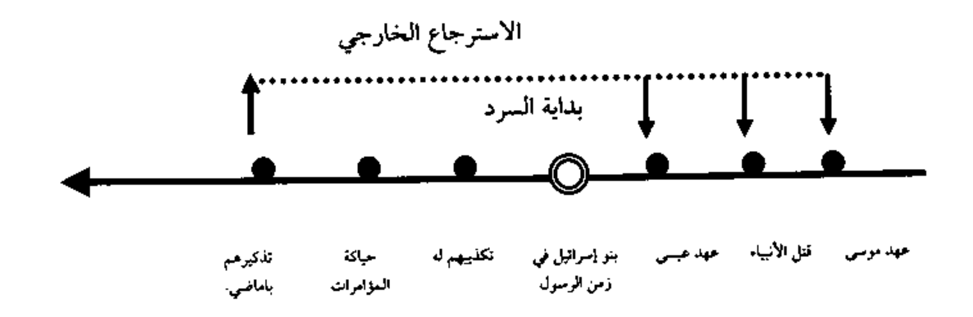
(١) في ظلال القرآن / سيد قطب / ١، ٧٧.

(٢) سورة البقرة / الآية ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة البقرة / الآية ٤٠.

التي قد تصرفوا في مخالفتها[١].

وهذا المخطط يوضح الاسترجاعات الخارجية الموجودة في الآية.



وفي سورة المائدة نجد موسى عليه السلام يذكر قومه بنعم الله تعالى عليهم ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢] وهو تذكير بالماضي جاء ليسبق تكليفا عظيما لبني إسرائيل بان يدخلوا الأرض المقدسة، وليكون حافزا لهم، ولينبههم إلى أمر مهم هو ان النصر من عند الله يهبه للمجاهدين في سبيله والصابرين، ولكن على الرغم من المقدمة التي مهد بها موسى طلب الدخول إلا أنه جوبه برد قومه ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣]. ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا من موسى ان يقاتل هو وربه بدلا عنهم ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[٤].

أي تخاذل هذا وأي صلف لقد كانت نتيجة موقفهم هذا ان حرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، وهذه المدة كافية لتغيير هذا الجيل لعله يأتي جيل آخر يطيعون الله ولا يعصونه.

(١) تفسير ابن كثير / ١٢٣.
(٢) سورة المائدة / الآية ٢٠.
(٣) سورة المائدة / الآية ٢٢.
(٤) سورة المائدة / الآية ٢٤.

وفي قصة يوسف عليه السلام، وعلى الرغم من انها حفلت بالزمن بعدما كثرت فيها المفارقة الزمنية من استباقات واسترجاعات كانت صورة واضحة للترتيب السردي فيها، الا انها مملوءة بالاسترجاعات الداخلية ومفتقرة إلى الاسترجاعات الخارجية باستثناء ما جاء في مواضع التذكير بالماضي كما أسلفنا ذلك في القصص السابقة. فحين سمع يعقوب ما قصه عليه يوسف طلب منه الا يخبر إخوته خوفا من الحسد فيكيدوا له، ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[1]، فالبرغم من ان هذه الآية تمثل استباقا للأحداث لكن فيها رجوعا إلى ما يخرج عن مدى السرد القصصي لقصة يوسف ويعود إلى مدى بعيد حيث الزمن الذي عاشه إبراهيم وإسحاق.

وتمضي قصة يوسف ليصل معها يوسف إلى مصر في بيت العزيز بعدما كاد له إخوته والقوه في الجب، ومن بيت العزيز ينتقل إلى السجن اثر افتتان امرأة العزيز به وإعراضه عنها، ومع ان هذه الأحداث ألقت بظل ثقيل في نفس يوسف الا انه لم ينس لحظة واحدة مهمته في الدعوة إلى عبادة الله، وما أجملها من فرصة تقدم نفسها ليوسف يثبت فيها انه على عهده مع الله، فقد استغل إعجاب الفتيين به وبعلمه في التأويل فراح يدعوهم إلى عبادة الله ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

(١) سورة يوسف / الآية ٦.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١].

أشارت هذه الآيات إلى استرجاعات خارجية تعود إلى زمن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والى تسفيه أصنام القوم، وعقدت مقارنة بين ماض صنعه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وتمثل في الالتزام بأوامر الله وطاعته وماض صنعه القوم وآباؤهم من قبلهم وتمثل في كفرهم وإشراكهم بالله، فأي الصورتين أحق ان تتبع، وقد دأب القرآن الكريم على مثل هذه المقارنات.

٢ - الرجوع إلى ماضي الشخصية الواحدة:

في قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء، تبدأ القصة بصدور الأمر الإلهي إلى موسى بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى عبادة الله ورفع الظلم عن بني إسرائيل وإرسالهم معه. ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٢] ويشرع موسى بتنفيذ الأمر بعد ان يستأذن ربه بأخذ هارون معه، لكنه يواجه بماض بعيد يرجع إلى طفولته، وقد حاول فرعون الاستفادة من هذا الماضي الذي مثل احد المرتكزات التي وقف عليها السرد، وشكك في دعوة موسى قَالَ ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

لقد خرجت هذه الرجوعات عن السرد المتنامي وأوقفته ثم رجعت به إلى ماض بعيد، سعته خمس آيات، وقد بين هذا الاسترجاع صعوبة المهمة في تبليغ الرسالة، فموسى أمام تهمتين، الأولى كانت في الدعوة التي جاء بها، والثانية في قتل القبطي وهي التهمة التي سيتمسك بها فرعون وفيها إقامة الحد على موسى

---

(١) سورة يوسف / الآيات (٣٧ - ٤٠).

(٢) سورة الشعراء / الآيتان (١٠ - ١١).

(٣) سورة الشعراء / الآيتان (١٨ - ٢٢).

وقتله، وما كان يخشاه موسى من ذكر ماضيه قد حصل وأمام الملأ، بلسان فرعون نفسه الذي هدف من هذا التذكير إلى أمرين هما:

١ – إلباس الأمور على موسى من جهة ومن جهة أخرى صرف أنظار الجميع عن الدعوة التي جاء بها.

٢ – تشويه صورته أمام الناس عامة وبني إسرائيل خاصة، فهو قد تربى في بيت فرعون ونشأ أمام عينيه، ثم قتل القبطي وهرب خوفا من القصاص، ثم جاء ليدعي النبوة، فجاء رد موسى دفاعا عن النفس وتصحيحا للأحداث، فموسى قتل عن طريق الخطأ وكان فتى لم يكلف برسالة بعد، اما المنّة التي يمنّها عليه بتربيته فهي مأخذ على فرعون، إذ لولا قوانينه التي تقضي بقتل أطفال بني إسرائيل لما تربى موسى بعيدا عن أهله وقومه، فأي منّة يمنّها وهو استعبد بني إسرائيل وأذلهم[1]. وفي سورة طه، تبدأ قصة موسى عندما رأى نارا، فطلب من أهله المكوث في مكانهم ليذهب ويجلب منها قبسا، فإذا به يجد نفسه في لقاء مع الله في الوادي المقدس طوى، ويكلف موسى بالرسالة ويمنّ الله عليه بإشراك هارون معه في الأمر بعدما طلب ذلك بنفسه﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾[2]. فيجيبه الله على طلبه، وهذه منّة أخرى يمنّها عليه تضاف إلى منن سابقة منّها الله على موسى يذكرها له ليرجع السرد إلى أحداث سبقت لقاء موسى بربه﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ

(١) الشكل القصصي في القرآن الكريم: نبهان حسون، رسالة ماجستير /٢٤٤.

(٢) سورة طه / الآيات (٢٥ – ٣٢).

فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

لقد جاءت هذه الاسترجاعات لتشابه ما جاء في سورة الشعراء في شكلها وبنائها الا انها تختلف في الغرض، وقد هدفت إلى أمرين هما:

الأول: أراد الله ان يعلم موسى ان الأمن يتحقق بالاعتماد على الله وان أسباب النصر تتحقق في ذلك الاعتماد، وليس بمقدور أي إنسان حتى لو كان فرعون ان يؤذي إنسانا آخر قد حفظه الله، فجاءت هذه التذكيرات لتطمئن موسى وتزيل عنه الخوف.

الثاني: على موسى ان يتهيأ لمجابهة فرعون الذي رباه صغيرا وكبر أمام عينيه ثم قتل القبطي وهرب من مصر، ولا شك ان موسى سيواجه بهذه الحقائق من قبل فرعون لإفشال مهمته، فجاءت هذه الاسترجاعات تذكر موسى بماضيه ليكون مستعدا للوقوف أمام فرعون وإسقاط ما لديه من حجج وذرائع.

وقد مثلت هذه الاسترجاعات مديات مختلفة بعيدة تقترب كلما اقتربت من بداية السرد وسعتها خمس آيات توزعت على عدة مراحل وكما يأتي:

١ - ولادة موسى وقيام امه بوضعه في التابوت ثم إلقائه في اليم.

٢ - فرعون يتولى تربية موسى في قصره.

٣ - قتل القبطي والفرار إلى مدين.

٤ - مكوث موسى في مدين مع نبي الله شعيب بعد ان تزوج إحدى ابنتيه.

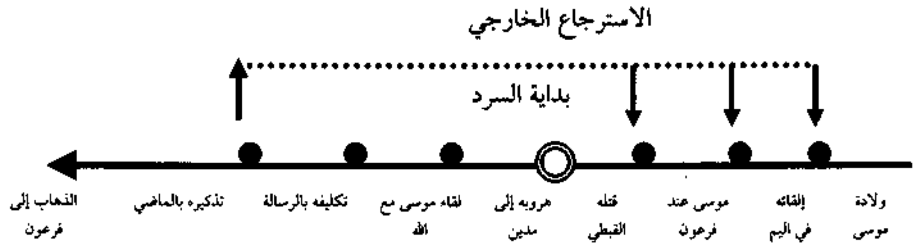
٥ - خروجه من مدين ووصوله إلى الوادي المقدس.

٦ - لقاؤه مع الله سبحانه وتعالى وتكليفه بالرسالة.

ونظرة إلى الأفعال الماضية التي وردت في هذه الآيات (منّا، أوحينا، ألقيت، فرجعناك، قتلت، نجيناك، فتناك، لبثت، جئت) نجد انها مثلت محاور ارتكزت عليها قصة موسى، إذ ان كل فعل منها يدل على فترة زمنية، مثل رجوعا إلى ماض بعيد كسر تتابعية السرد ثم يعود بعد ذلك إلى الصعود من النقطة التي وقف عندها.

(١) سورة طه / الآيات (٣٦ - ٤٠).

وهذا المخطط يوضح الاسترجاعات الخارجية في قصة موسى.



وفي قصة قارون درس آخر وعبرة جديدة، لقد كان قارون من قوم موسى، أعطاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، لكنه بغى وتجبر، وعندما يذكر بفضل الله عليه يقول ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[1].

وهذا ما يقوله الكثير من الأغنياء الذين ما ان تمتلئ خزائنهم حتى ينسوا الله تعالى.

ان الفترة التي حصل بها قارون على المال هي فترة سابقة لبداية السرد، كما ان القرون التي أهلكها الله جاءت قبل قارون بمديات زمنية بعيدة.

وبلقيس كانت تعبد الشمس من دون الله، لكن ما ان جاءها الهدى عن طريق نبي الله سليمان حتى لبست ثوب الإيمان وخلعت عنها ثوب الكفر. وإنما كان إشراكها بالله لأنها كانت من قوم كافرين وهذا ما وضحه الاسترجاع الخارجي الذي ورد في الآية ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] **وهو رجوع بيّن حقيقة بلقيس.**

وفي قصة عيسى عليه السلام، تتأكد حقيقة كونه عبدا من عباد الله لا يرتقي إلى مرتبة الإلوهية التي يزعمها النصارى، وإنما رسول الله إليهم ليهديهم إلى الطريق الصحيح، ولتأكيد هذه الحقيقة ذكّرهم الله بخلق أعجب من خلق عيسى وهو خلق

---

(١) سورة القصص / الآية ٧٨.

(٢) سورة النمل / الآية ٤٣.

آدم عليه السلام ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ان إحدى وظائف الاسترجاع هي عقد المقارنة بين الماضي والحاضر وإذا كان هذا الغرض يستفاد منه في السرد القصصي لمعرفة التغيير الذي حصل بين زمنين، فإننا نجد القرآن الكريم يستخدمه للمقارنة بين معجزتين الأولى حاضرة والثانية ماضية، ذكرت لإثبات حقيقة غفل الناس عنها، فإذا كان خلق عيسى معجزة جعلت من الناس ان يتخذوه وأمه الهين فالأولى ان يكون ذلك التقديس وتلك الأولوهية لآدم وهو الذي خلق من تراب، من دون ام ولا اب، ولم يقل أحد عنه أنه إله أو ابن إله[2]. وهم في كل الأحوال يعترفون بان عيسى مخلوق، والمخلوق لا يرتقي إلى الإلوهية.

(١) سورة آل عمران / الآية ٥٩.

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: عبد الكريم الخطيب، ١٨٥.

المبحث الثالث

الاسترجاع الداخلي

وهو استرجاع "يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية،قد تأخر تقديمه في النص"[1] بحيث يكون "حقله الزمني متضمنا في الحقل الزمني للحكاية الأولى"[2] ويتصل مباشرة بالشخصيات وبأحداث القصة، ويسير معها في خط زمني واحد بالنسبة إلى زمنها الروائي[3]، ويبقى الخوف الذي يبنى على هذا الاسترجاع يتمثل في خطر الحشو والتضارب[4].

ويستخدم الاسترجاع الداخلي لمعالجة الأحداث المتزامنة، فضلا عن ربط الحادثة بسلسلة من الحوادث المتماثلة ولم تذكر في النص من باب الاقتصاد[5].

وله فوائد أخرى يمكننا جمعها في النقاط الآتية فضلا عن وضيفتها الجمالية[6]:

١ - ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات في سوابق شخصية جديدة دخلت إلى القصة أم إطلاعنا على حاضر شخصية اختفت ثم عادت للظهور من جديد.

٢ - الإشارة إلى أحداث سبق للسرد ان تركها جانبا.

٣ - اتخاذ الاسترجاع وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في المقدمة.

٤ - العودة إلى أحداث سبقت إشارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير.

٥ - لتغيير دلالة عدد من الأحداث الماضية سواء بإعطائها دلالة لم تكن لها، أم لسحب تأويل سابق واستبدال تفسير جديد له.

---

(١) بناء الرواية، سيزا قاسم،٥٤.

(٢) خطاب الحكاية،٦١.

(٣) قضايا السرد عند نجيب محفوظ، ٩٦.

(٤) خطاب الحكاية، ٦١.

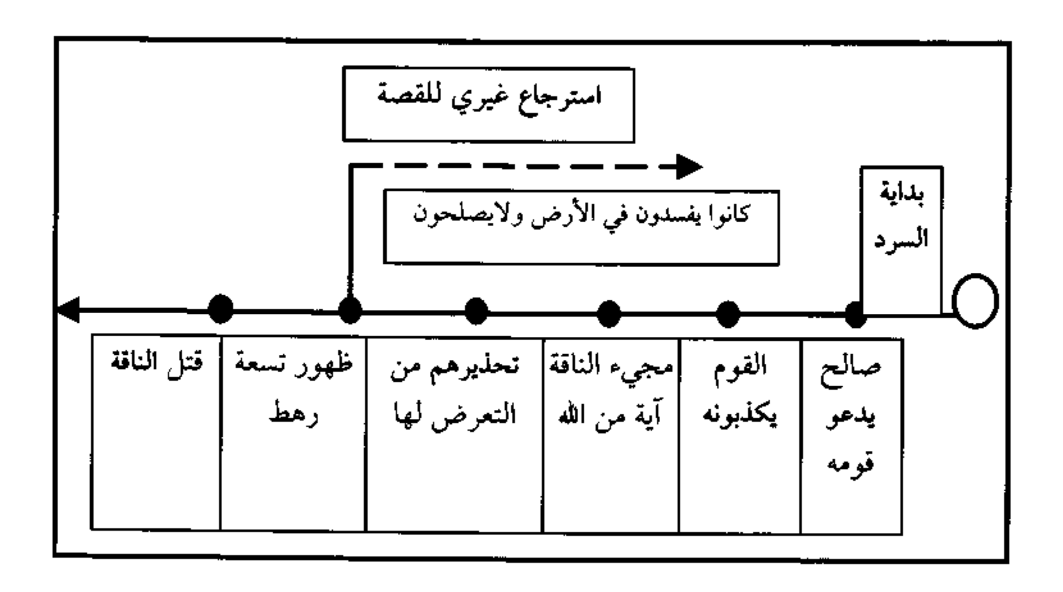
(٥) بناء الرواية، سيزا قاسم، ٥٦,٥٨.

(٦) بنية الشكل الروائي،١٢١ - ١٢٢.

ويقسم الاسترجاع الداخلي على قسمين هما[1]:

استرجاع غيري القصة: يتناول مضمونا مختلفا عن مضمون الحكاية الأولى، ويتم عن طريق شخصية دخلت حديثا في القصة ويريد السارد ان يضيء سوابقها، أو عن طريق شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت ويجب استعادت ماضيها.

٢ - استرجاع مثلي القصة: يتناول خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى، وهنا يكون خطر التداخل واضحا بل محتوما، ومن الأمثلة على الاسترجاع الداخلي غيري القصة، ما نجده في قصة ثمود ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ ﴾[2] إذ كانت القصة تتحدث عن صالح مع قومه ثمود، ثم يدخل تسعة رهط في أحداثها فيرجع السرد إلى ماضيهم الفاسد ليصور خطورة ما أقدموا عليه وخططوا له من قبل، وهذا الرجوع مثل استرجاعا داخليا لاحقا لبداية السرد وغيري القصة لأنه كان يسير في خط محاذ للخط الأول للقصة وهذا مخطط يوضح ذلك:



(١) خطاب الحكاية، ٦١ - ٦٢.

(٢) سورة النمل، الآيتان /٤٨ - ٤٩.

اما الاسترجاعات التكميلية: تضم مقاطع استعبادية تسد بعد فوات الأوان فجوة سابقة في الحكاية، وتكون هذه الفجوات السابقة حذوفا مطلقة أي نقائض في الاستمرار الزمني.[(١)] ففي قصة آدم عليه السلام نجد استرجاعا تكميليا تمثل في الأمر الإلهي الذي صدر للملائكة بالسجود لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[(٢)]، فأمر السجود تأخر إلى ما بعد تعليم آدم الأسماء في حين ان زمنه قبل ذلك بدليل قوله تعالى في سورة أخرى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[(٣)] فالفاء هنا تفيد التعقيب مباشرة، وقد قدم التعليم على السجود لمناسبة "مابين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك فاخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضله به عليهم في العلم"[(٤)] لقد سد هذا الاسترجاع فجوة سابقة في القصة وأكمل نقصانا في الاستمرار الزمني فيها، ثم يعود السرد بعد ذلك إلى سيره الطبيعي للامام.

وهناك نوع من الفجوات التى لها طابع زمني اقل صرامة لا تقوم على إلغاء مقطع تزامني ولا تقفز فيه الحكاية فوق لحظة زمنية كالحذف وإنما تمر بجانب معطى من المعطيات ويتم ذلك عن طريق إسقاط احد عناصر المشكلة للوضع. وهذا النوع يسمى بالحذف الجانبي، أو النقصان[(٥)]، ومثال ذلك ما نجده في موضع آخر من قصة آدم عليه السلام ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٦)] إن قول الله تعالى لآدم عليه السلام ان الشيطان عدو

---

(١) خطاب الحكاية: ٦٢ - ٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٣) سورة الحجر، الآية ٢٩.

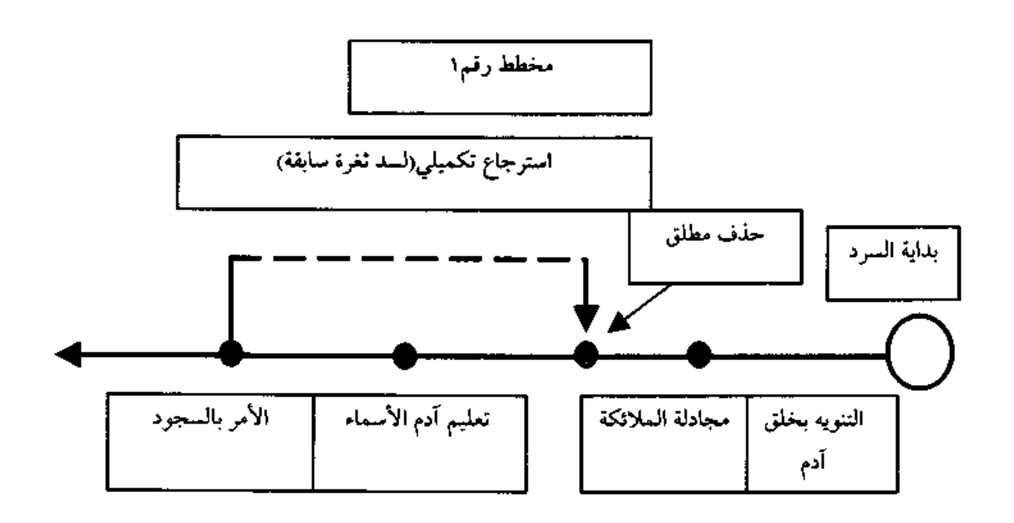
(٤) تفسير ابن كثير، ٧٣ - ٧٤.

(٥) خطاب الحكاية، ٦٢.

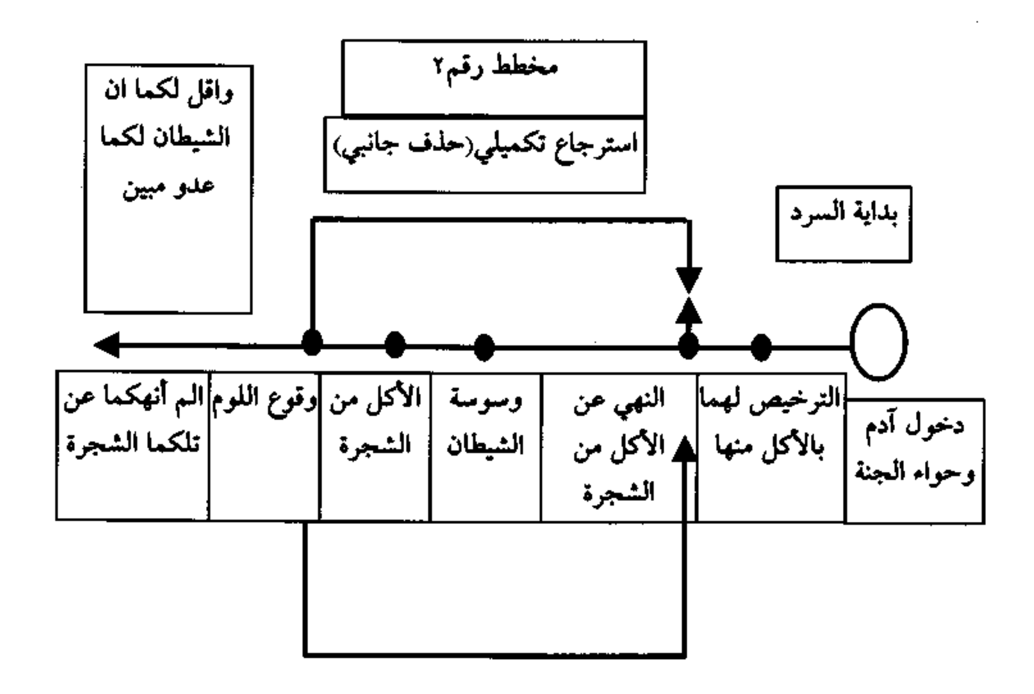
(٦) سورة الأعراف، الآيتان ٢٢ - ٢٣.

لهما لم يرد في البداية القصة، إذ بدا السرد بقوله تعالى ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1]. **وقد مثل هذا القول استرجاعا تكميليا لم يتم عن طريق القفز على فترة زمنية وإنما عن طريق الحذف الجانبي.**

وهذان المخططان يوضحان الاسترجاع التكميلي للحذف المطلق (المثال الأول) والحذف الجانبي (المثال الثاني)



(١) سورة الأعراف، الآية ١٩.



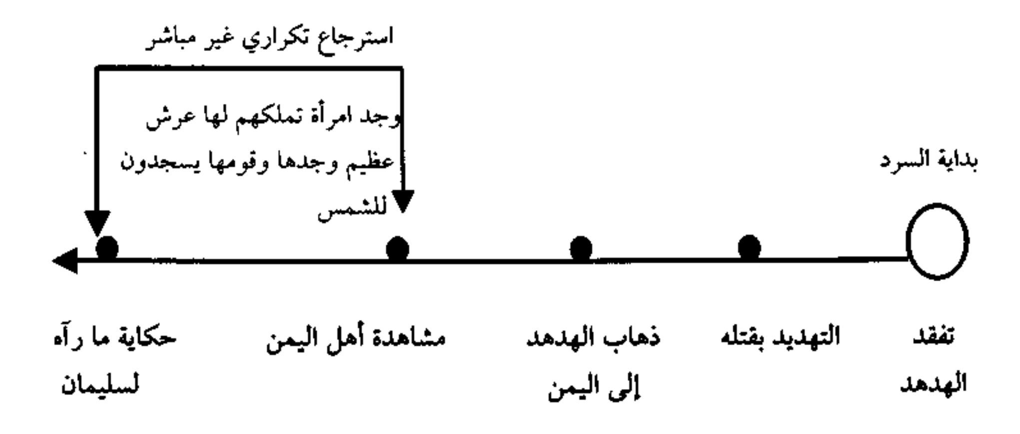
الاسترجاع التكراري

الثاني: استرجاعات تكرارية[1]،وقد يأتي هذا الاسترجاع بشكل واضح او مباشر عن طريق التكرار اللفظي، أو بشكل غير مباشر نحو ان يروي ما شاهده في الماضي. ومثالا على الاسترجاع التكراري المباشر ما نجده في قوله تعالى في قصة آدم ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2] فهو استرجاع تكراري لقوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وقد جاء هذا الاسترجاع زيادة في تشريف آدم بعد ما أحاطه الله بعلمه الذي حجبه عن ملائكته وهم اقرب المخلوقات إليه، كما أن التكرار اللفظي بين الحكاية الأصلية والحكاية الاسترجاعية جعل منه تكرارا مباشرا.

(١) خطاب الحكاية: ٦٤.
(٢) سورة البقرة / الآية ٣٣.
(٣) سورة البقرة/ الآية ٣٠.

ومن أمثلة الاسترجاع التكراري غير المباشر ما نجده في قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عندما تفقده سليمان وهدد بقتله إذا لم يأته بعذر مقبول ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[1]

﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[2]. إن حكاية الهدهد لأحداث كان قد رآها يمثل رجوعا لتلك الأحداث وهذا الرجوع هو رجوع تكراري، إذ لم يأت ليسد فجوة زمنية تغافل عنها السرد ثم عاد اليها كما في الاسترجاع التكميلي، لكنه مثل سردا تكراريا لأحداث حصلت ورآها الهدهد. إن كل رؤيا يرويها صاحبها سواء كانت يقظة ام مناما تمثل استرجاعا تكراريا غير مباشر. وهذا المخطط يوضح ذلك:



شواهد على الاسترجاع الداخلي في القصة القرآنية:

في قصة آدم عليه السلام ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] **استرجاع تكراري قصير يعود إلى اللحظة التي أكلا**

---

(١) سورة النمل /الآية ٢٢.

(٢) سورة النمل /الآيتان (٢٣ - ٢٤).

(٣) سورة الأعراف / الآية ٢٣.

من الشجرة وقد بين هذا الاسترجاع الفرق بين معصية إبليس وخطيئة آدم، إذ ان إبليس تمادى في معصيته وسوغ فعلته بأقوال تدل على غروره وتكبره فراح يتوعد آدم أمام الله سبحانه وتعالى ولم يشعر بعظم الذنب الذي ارتكبه، أم آدم وحواء عليهما السلام فقد شعرا بالندم فور ارتكابهما الخطيئة، وأعلنا توبتهما واستغفرا لذنبهما، ومن يغفر الذنوب الا الله.

وفي قصة نوح عليه السلام ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] لقد كان تصوير الآية في استرجاعها لعدد الذين آمنوا (وما آمن معه إلا قليل)، غاية في الروعة، فهي خلاصة قصة نوح بأكملها، إذ لم تترك دعوته بأساليبها المتعددة في قومه إلا أثرا ضئيلا، أما الأكثرية فقد جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، فكذبوا نوح، ووصفوه بالجنون، وحالوا بينه وبين تبليغ الرسالة، والآية تعطي استرجاعا تكراريا سعته جزء من آية واحدة.

وفي قصة هود عليه السلام قال لهم ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾[2] لقد صورت هذه الآية الحالة الاجتماعية التي كان عليها قوم عاد "فقد كانوا غاية في قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والطول المديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله "[3] وقد ذكرهم هود بهذه النعم التي أنعمها الله عليهم ليبصرهم بأحقية الله وحده في العبادة دون أن يشركوا به أحدا، وهذا التذكير شكل استرجاعا تكميليا سعته سبع آيات.

---

(١) سورة هود / الآية ٤٠.

(٢) سورة الشعراء/ الآيات(١٢٨ - ١٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير: ٣، ٣٤٢.

وصالح عليه السلام يذكر قومه أيضا بنعم الله عليهم فقد أعطاهم من القوة ما لك يعطها لغيرهم ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[١] وهو استرجاع تكميلي بدلالة الفعل (كانوا)وسعته آية واحدة.

وفي قصة إبراهيم عليه السلام نجد مجموعة من الاسترجاعات الداخلية منها:

١ - ما جاء في سورة الأنعام ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[٢] وهو استرجاع تكراري لقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٣] لقد كان إبراهيم يحاورهم بمنطق العقل والتفكير فهو لم يترك فرصة إلا وجادلهم في معبوداتهم، ومن ذلك المحاورة التي أراد بها بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[٤] ليظهر أن المعبود بحق هو الله وحده، فقد أظهر الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عددا من أسرار ملكوته الدالة على ربوبيته ليكون من أهل اليقين الراسخين في الإيمان، وليقيم بذلك الحجة على قومه الوثنيين[٥]. وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى(نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) وهو استرجاع تكراري.

٢ - ما جاء في سورة إبراهيم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[٦] وهو استرجاع تكراري أيضا تمثل في استذكار إبراهيم عليه السلام نعمة الله عليه بأن وهب له إسماعيل وإسحاق، وقد جاءت هذه الهبة على فترتين من الزمن مثلت ولادة كل منهما.

(١) سورة الحجر / الآية ٨٢.
(٢) سورة الأنعام / الآية ٨٣.
(٣) سورة الأنعام / الآية ٧٥.
(٤) سورة الأنعام / الآية (٧٦).
(٥) مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة، ١١٦.
(٦) سورة إبراهيم/ الآية ٣٩.

في سورة الأنبياء ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝ ﴾[1] جاء قولهم بعدما رأوا أصنامهم محطمة فغضبوا أشد الغضب وبحثوا عن الفاعل ورجعوا بذاكرتهم إلى الوراء لعلهم يجدون في خباياها هدى، وقد مثل ذلك استرجاعا تكراريا دل عليه الفعل (سمعنا) فالسمع يتطلب أقوالا قيلت، ويدل هذا الاسترجاع أيضا على أن القوم لم يجدوا أي عناء في البحث عن الفاعل، إذ لم يكن أحد غير إبراهيم يذكرهم بسوء وبإلحاح شديد.

وفي موضع آخر من السورة نفسها وبعدما جاء القوم بإبراهيم ليحاكموه على ما فعل قالوا له ﴿ ... ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾[2] ونجد في هذه الآية مجموعة من الاسترجاعات الداخلية وقد مثلتها الصيغ الآتية (أأنت فعلت، بل فعلها كبيرهم، لقد علمت، أفتعبدون) وهي استرجاعات تكرارية رجعت إلى أحداث حصلت في الماضي وذكرها السرد عندما ذكر تحطيم إبراهيم للأصنام أو عندما ذكر قبل ذلك عبادة القوم للأصنام.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم وهو هل كان إبراهيم يطمع في موقف يدعو فيه قومه لعبادة الله وترك عبادة الأصنام أفضل من هذا الموقف؟ أليست هذه الأصنام المحطمة هي التي يعبدونها؟ ما بالها لا تدفع الضرر عن نفسها؟ ومن فعل بها ما فعل؟.. لقد علمت ما هؤلاء ينطقون!! هذه هي النتيجة التي كان يسعى إليها إبراهيم عليه السلام.

لقد جاءت هذه الاسترجاعات لتوضح أمرا مهما، هو أن تحطيم إبراهيم

---

(١) سورة الأنبياء / الآية ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء / الآيات (٦٢ – ٦٧).

للأصنام لم يكن الغاية بل الوسيلة لإيصال القوم إلى موقف تكون فيه حجته قوية، فهذه الآلهة التي كانوا يعبدونها لم تستطع إنقاذ نفسها، وقد كان صوته مسموعا هذه المرة بدليل أن القوم رجعوا إلى نفوسهم، وأقروا بالحقيقة، ولولا خوفهم من سفهائهم لأعلنوا إيمانهم بالله وبدعوة إبراهيم.

أما الاسترجاعات الداخلية في قصة يوسف عليه السلام فنبدأها باسترجاع تكرر ثلاث مرات لكنه في كل مرة يحمل مضمونا يختلف عن الآخر بتغير شخوصه، والجامع بين المرات الثلاثة تمثل في شكله وطريقة عرضه فهو رؤيا منام تحكى، وتأويلها يمهد لأحداث ستحصل ويذكرها السرد لاحقا.

يوسف عليه السلام يقص رؤياه على أبيه﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ وصاحباه في السجن يطلبان منه تأويل رؤياهما، ﴿ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ﴾[1] والملك يرى في منامه ﴿ ... سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ وقد حملت كل واحدة من هذه الرؤى الثلاث أغراضا سنذكرها في فصل الاستباق، أما حكاية الرؤيا فهي استرجاع قريب يعود لأحداث الليلة الماضية يذكر فيها أحداث قد شوهدت سابقا.

ورجوعا إلى قصة يوسف ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ نجد فيها استرجاعين:

الأول: تمثل في رواية إخوة يوسف لما حصل وإن كانت هذه الرواية غير صحيحة، فإنها ضمن تقنيات السرد تعد استرجاعا تكراريا لأنه يحكي أحداثا يفترض أنها حصلت.

(١) سورة يوسف/ الآية ٣٦.

الثاني: تمثل في الحجة التي ذكرها إخوة يوسف، فقد أخذت هذه الحجة من يعقوب نفسه عندما تحايلوا في أخذ يوسف فقال لهم ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾**، وهم بهذا قد وجدوا المسوغ الذي يمكنهم أن يستندوا إليه للتخلص من فعلتهم، وقد شكل هذا استرجاعا تكراريا مباشرا مداه قريب وسعته آية واحدة. لكن يعقوب كان على علم بأن الذئب محرم عليه أكل يوسف، وإنما كان خوفه على يوسف من إخوته أن يكيدوا له بدافع الحسد وهذا ما نجده في قول يعقوب ردا عليهم** ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ **وهو تصحيح للدافع الحقيقي في الكيد ليوسف وقد شكلت هذه الآية استرجاعا تكراريا.**

وفي حادثة المراودة نجد عددا من الاسترجاعات التي شكلها تكرار السرد عدة مرات فقالت امرأة العزيز ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **وقال يوسف** ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ **وشهد شاهد من أهلها** ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...﴾[2] **ثم في اعتراف امرأة العزيز أمام النسوة** ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ...﴾[3] **وهي استرجاعات تكرارية توزعت فيها الأغراض بين جان يلقي التهمة على غيره، وبريء يدافع عن نفسه، وشاهد يظهر براءته في الحكم ونسوة وجدن لأنفسهن حديثا يتفكهن به، وأخيرا بين منتصرة تسعى لاستغلال انتصارها في تحقيق ما**

(١) سورة يوسف / الآية ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة يوسف /الآية ٣٠.

(٣) سورة يوسف /الآية ٣٢.

عجزت عنه لتنال مرادها من خلال جعل يوسف أمام خيارين (تلبية رغباتهن او السجن). وقد تخلل هذه الاسترجاعات التكرارية استرجاع تكميلي في الآية (٢٩) ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾[١] إذ أطلق هذا الاسترجاع صفة الخطيئة لما قامت به امرأة العزيز في مراودتها ليوسف.

استرجاع آخر في حادثة المراودة يأتي بعدما يأمر الملك بإخراج يوسف من السجن، لكن يوسف يرفض الخروج من السجن الا بعد ان يتأكد الجميع من براءته ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٢]

فإذا كانت امرأة العزيز قد اعترفت أمام النسوة باختيارها، فهي الآن تعترف مضطرة أمام الملك بعد ان انكشفت الحقيقة وظهرت براءة يوسف عليه السلام التي سعى إليها[٣]

لقد مثل الرجوع إلى النسوة وسؤالهن ومن ثم اعترافهن واعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف استرجاعا تكراريا شغل مدة زمنية طويلة هي فترة مكوث يوسف في السجن كما انها زادت من ثقة الملك بيوسف مما مهد ان يكون وزيرا للملك[٤].

في موضع آخر من قصة يوسف نجد في حادثة سرقة صواع الملك المدبرة

---

(١) سورة يوسف / الآية ٢٩.

(٢) سورة يوسف/ الآيات ٥٠ – ٥٣.

(٣) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار المعارف، مصر، ١٦٩.

(٤) قصص الأنبياء: ابن كثير، ١١، ينظر: المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة: عبد الكريم زيدان، ١، ١٤ ; دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: احمد جمال العمري، ١٢٦.

عددا من الاسترجاعات الداخلية، ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ...﴾[1] وهو استرجاع داخلي بدلالة الفعل الماضي(سرق) فضلا عن وجود المعين الزمني (من قبل) الذي يدل على حدث حصل في الماضي، لكن هذا الحدث غير موجود الا في مخيلة اخوة يوسف وأخيه بإلصاق تهمة السرقة بهما.

وفي الآية ٨٠ ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[2].

للمرة الثانية يقف اخوة يوسف أمام أبيهم موقف المتهم، فقد كانت المرة الأولى عندما فرطوا فيها بيوسف وهذه المرة بأخيه. وقد شهدت هذه الآيات عدة استرجاعات منها:

١. التذكير بالعهد الذي قطعه اخوة يوسف أمام أبيهم، وهو استرجاع آخر (ومن قبل ما فرطتم بيوسف).

٢. إخبار يعقوب بحادثة السرقة.

٣. تكرار قول يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا..) وقد تكرر مرتين، الأولى عندما فقد يوسف والثانية عندما فقد أخاه.

٤. الاستشهاد بالقرية التي كانوا فيها والعير التي اقبلوا فيها.

والاسترجاعات الأربعة تكرارية مداها قريب وسعتها ثلاث آيات.

وفي خاتمة قصة يوسف عليه السلام نجد استرجاعات أخرى اعتمدت التذكير بالأحداث الماضية فيوسف عليه السلام يعاتب اخوته ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا

---

(١) سورة يوسف / الآية ٧٧.

(٢) سورة يوسف/ الآيات. (٨٠ - ٨٣).

فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] وهو استرجاع تكراري بعيد المدى يرجع لبداية قصة يوسف عليه السلام، ويعقوب يذكر أهله بعدما ارتد اليه بصره ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وهو أيضا استرجاع تكراري، وأخيرا يجد يوسف في سجود أبويه واخوته تأويلا لرؤياه التي رآها عندما كان صغيرا ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] وقد مثلت هذه الآيات استرجاعا تكراريا باستثناء (وجاء بكم من البدو) فهو استرجاع تكميلي وسعة هذين الاسترجاعين آية واحدة.

وفي قصة موسى نذكر مجموعة من الاسترجاعات الداخلية ومنها: في حادثة اتخاذ العجل نجد الآية ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[4] فقد ضمت الاسترجاعات الآتية:

١ - (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا..)كان رجوع موسى قبل أن يرى القوم أنهم قد ضلوا، فهم عرفوا بضلالتهم عن طريق موسى، وقد حصل تقديم وتأخير شكل استرجاعا تكميليا، إذ أنه سد فجوة حصلت في السرد.

٢ - شكل عتاب موسى لقومه(بئسما خلفتموني من بعدي) استرجاعا تكراريا قريبا يعود لأيام قليلة سبقت رجوع موسى.

(١) سورة يوسف/ الآية ٨٩.

(٢) سورة يوسف /الآية٩٦.

(٣) سورة يوسف / الآية ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف/ الآيتان ١٤٩ - ١٥٠.

٣ - دفاع هارون عن نفسه (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) وهو استرجاع تكراري أضاف ثقلا آخر للذنب الذي ارتكبه بنو إسرائيل، فهم على الرغم من نصيحة هارون لهم فإنهم استمروا في غيهم وضلالتهم.

وفي سورة يونس عليه السلام نجد فرعون يعلن إسلامه على أمل أن ينجيه الله من الغرق فقال له الملك ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[1] فمعصية فرعون قد أخذت عهدين من الزمن، الزمن الذي كان قبل مجيء موسى بالرسالة، والزمن الذي جاء بعده، لكن المعصية التي يحاسب عليها هي بعد مجيء موسى استنادا لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[2] لذا مثلت الآية (الآن وقد عصيت..) استرجاعا داخليا تكراريا، ونجد فيه ثلاث صيغ ماضية تدل على الاسترجاع(عصيت، قبل، كنت).

وفي قصة موسى مع العبد الصالح والتي ذكرناها في البناء المكرر نجد أن العبد الصالح يخبر موسى بتأويل ما فعله ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3] لقد أضافت هذه الاسترجاعات أحداثا قفز عليها السرد ولم يذكرها في حينها، وجاءت لتبين الأسباب التي جعلت العبد الصالح يقوم بخرق السفينة وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لذا فهي استباقات تكميلية سدت الفجوات التي حصلت في السرد.

---

(١) سورة يونس /الآية ٩١.

(٢) سورة الإسراء/ الآية ١٥.

(٣) سورة الكهف/ الآيات (٧٩ - ٨٢).

وفي سورة القصص نجد استرجاعا آخر في قصة موسى ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝ ﴾[1] وهو استرجاع تكراري دلت عليه هذه الألفاظ(أصبح، استنصره بالأمس، قتلت نفسا بالأمس) وهي معينات زمنية تدل على أحداث حصلت في الماضي.

لقد بين الاسترجاع إن الذي أمر موسى هو الإسرائيلي الذي استنصره، بعدما سمع قول موسى(إنك لغوي مبين) فظن أن موسى يريد قتله، فذكره بقتل القبطي في الأمس، وهو أمر لا يعلم به الا موسى والإسرائيلي، فلما سمعهما القبطي الذي أراد قتله موسى في المرة الثانية، ذهب وأخبر فرعون بذلك، فاشتد غضبه وعزم على قتل موسى.[2]

وفي قصة داود عليه السلام مجموعة من الاسترجاعات القصيرة منها:

في سورة الأنبياء ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ ﴾[3]. إن غنم القوم نفشت في الزرع قبل الاحتكام إلى داود وسليمان، وهو استرجاع تكراري، وقد بين هذا الاسترجاع قدرة سليمان في القضاء بين الناس.

وفي سورة ص ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

(١) سورة القصص/ الآيتان (١٨ - ١٩).

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٨٤.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية ٧٨.

بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

نجد في هذه الآية استرجاعين، الأول في رواية أحد الأخوين لمظلمته عند داود وهذا يتطلب حكاية أحداث حصلت في الماضي مما شكل استرجاعا تكراريا، والثاني في ظن داود أنما فتناه وظن داود كان لأحداث حصلت في الماضي أيضا بدلالة الفعل (فتناه) الذي يدل على ماض، والفتنة التي وقع فيها داود عليه السلام كما أشار إلى ذلك عدد من المفسرين هي أن داود قد جعل يوما واحدا للقضاء كل أربعة أيام، وهذا يفسر دخول الخصمين عليه بطريقة شعر بالخوف منها، ورأى الآخر ان الفتنة كانت في أن داود عليه السلام قد حكم بعدما استمع لشخص واحد من دون أن يسمع للآخر، ولا مجال لتأويلات أخرى جاءت بها كتب التوراة والتي تحكي قصة داود مع زوجة أحد جنوده.[2]

وفي قصة قارون في سورة القصص ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ...﴾[3]

أمنية الناس الذين عاصروا قارون أن يكونوا مثله أزالتها الحادثة التي خسف بها بقارون وماله، فالتمني شكل استرجاعا تكراريا بدلالة الصيغ التي تدل على الماضي (تمنوا، أمس، لولا أن منّ) وقد دل هذا الاسترجاع على أن القوم كانوا مشدوهين عن أن يقولوا أيما شيء بعد الخسف مباشرة[4]. فنعمة الحياة لا تعادلها كنوز الأرض كلها فما فائدة المال إذا خسر الإنسان حياته أو جزءا من صحته، أليست الصحة منّة منّها الله علينا فوجب شكره وعبادته؟.

بقي أن نشير إلى عدد من الملاحظات التي صاحبت الاسترجاع الداخلي في القصة القرآنية وهي:

---

(١) سورة ص / الآيات(٢٢ - ٢٤).

(٢) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، ٣٢١.

(٣) سورة القصص: الآية ٨٢.

(٤) دراسة نصية (أدبية) في القصة القرآنية: د. سليمان الطراونة، ٢٤٤.

١ - أن معظم هذه الاسترجاعات جاءت عن طريق رواية شخصية من شخصيات القصة ما حصل في ماض لاحق لبداية السرد، والتي رآها في منامه أو يقظته.

٢ - كان مدى الاسترجاع الداخلي في معظمه قريبا على العكس من الاسترجاع الخارجي، أما سعته فهي أكبر نوعا ما.

٣ - جاء الاسترجاع التكراري في معظمه تفسيريا، إذ تشرح إحدى الشخصيات ما جرى في الماضي، وقسم قليل منه لتوكيد حدث حصل في الماضي.

٤ - استعان الاسترجاع الداخلي في القصة القرآنية بعدد من المعينات الزمنية المتمثلة بظروف الزمان(أصبح، أمس).

المبحث الرابع
الاسترجاع المزجي

وهو استرجاع يجمع الاسترجاعين(الخارجي والداخلي)[1]تحدده السعة المكانية وليس المدى الزمني، فهو يكوّن نقطة مداها سابق لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعتها لاحقة لها[2]، بمعنى آخر أن الاسترجاع المزجي يقوم على استرجاع خارجي يمتد حتى ينضم إلى منطلق الحكاية الأولى ويتعداه.[3]

وهذا النوع من الاسترجاعات لا يرد الا قليلا نسبة إلى الاسترجاعات الأخرى، لا سيما في القصة القرآنية، وعلى الرغم من قلتها فإنها حققت بعض الأغراض فضلا عن الأغراض التي تحققها الاسترجاعات الخارجية والداخلية والتي يفيد منها الاسترجاع المزجي. ومن هذه الأغراض التي حققها الاسترجاع المزجي في القصة القرآنية:

١ - عقد مقارنة بين حدث سابق لبداية السرد وحدث لاحق.

٢ - قد يعطي الاسترجاع المزجي معلومات للقارئ لم يستطع الاسترجاع الخارجي أو الداخلي من إعطائها على انفراد.

٣ - في عدد من الاسترجاعات المزجية نجد تأكيدا لحالة كانت موجودة في الأحداث التي سبقت بداية السرد وأحداث جاءت بعد بداية السرد، وقد تأخذ هذه الحالة شكل التواصل بين الزمنين.

٤ - يحتوي الاسترجاع المزجي على أحداث بعيدة المدى وأخرى قريبة.

ومن الأمثلة على الاسترجاع المزجي في القصة القرآنية ما نجده في قصة آدم عليه السلام ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[4] ففي هذه الآية استرجاعان، أولهما خارجي تمثل في خلق

---

(١) بناء الرواية: سيزا قاسم، ٥٤.

(٢) خطاب الحكاية: ٦٠.

(٣) م. ن: ٧٠.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢.

إبليس، لأن خلقه كان قبل خلق آدم بدليل وجوده مع الملائكة حينما أمرهم الله بالسجود لآدم فشمله الأمر، وهو استرجاع بعيد جدا، والثاني استرجاع داخلي تمثل في خلق آدم عليه السلام وهو استرجاع قريب يعود لبداية السرد، إذ سبق الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم. وهذا النوع من الاسترجاع الذي يجمع الاسترجاعين الداخلي والخارجي يسمى الاسترجاع المزجي او المختلط، وقد أفاد في عقد مقارنة بين الحالتين، كما انه فسر سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم بزعمه انه أفضل منه وقاس قياسا فاسدا، فنظر إلى اصل العنصر الذي خلق منه ولم ينظر إلى التشريف العظيم الذي ناله آدم وهو ان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، كما ان ادعائه بأن النار اشرف من الطين هو ادعاء غير صحيح لأن الطين من صفاته الرزانة والحلم والأناة والتثبت وهو محل النبات والنمو والزيادة، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة[1] وفي قصة موسى عليه السلام سورة الأعراف يطلب موسى من قومه ان يصبروا على إيذاء فرعون لهم، فكان جوابهم ان ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[2] وقد ضمنت هذه الآية استرجاعين، الأول خارجي بدلالة (من قبل) والثاني داخلي بدلالة (من بعد)، وهي بهذين الاسترجاعين شكلت استرجاعا مزجيا، أفاد في تفسير عدد من الأحداث في قصة موسى، لا سيما في مسألة مهمة تتعلق بالإيذاء الذي أصاب بني إسرائيل، فمن المتعارف عليه ان الإيذاء حصل قبل مجيء موسى، إذ أمر فرعون بقتل كل صبي يولد لبني إسرائيل خوفا من تحقق النبوءة التي تقول (سيولد في بني إسرائيل من يقوض حكم فرعون)[3]. ويقول الله تعالى في هذا الأمر ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

(١) قصص الأنبياء: ابن كثير،١١، ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة: عبد الكريم زيدان ١٤،١، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: احمد جمال العمري، ١٢٦.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٢٩.

(٣) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، ١٥٣ سورة الأعراف / الآية ١٢٩.

وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[1]. لكننا نجد في موضع آخر من القصة في سورة غافر: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ...﴾[2]. فهل كان قتل الأبناء قبل مجيء موسى ام بعده وما فائدة قتلهم بعد مجئ موسى إذا كان الأمر الذي يخشاه فرعون قد حصل وأصبح الخطر من الكبار لا من الصغار؟ إن ما ذكره سليمان الطراونة في هذه المسألة "إن قتل الأبناء واستحياء النساء لم يفعله فرعون الا في أثناء الفترة التي ولد فيها موسى، وعلى هذا يكون الماضي قد التبس بالحاضر في هذه الآية قصدا للعلاقة الوثقى بينهما، فهذا استرجاع سلبي لما كان، اعتمادا على مبررات السياق"[3]. وإذا أخذنا بهذا الرأي فما هو تفسيرنا للآية (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا...) إن الأقرب إلى الصحة أن قتل الأبناء واستحياء النساء قبل مجيء موسى وبعد مجيئه، وإذا كان الغرض من الإيذاء قبل مجيء موسى خوفا من النبوءة، فهو قد حصل بعد ذلك على سبيل الانتقام بعدما لامه قومه على ترك موسى وأتباعه يعبدون الله وحده ويترك عبادته وآلهته.

فطمأنهم فرعون قائلا: سنقتل أبنائهم وسنترك نساءهم أحياء لاسترقاقهن ثم شرع يحقق وعيده السيئ[4].

وتبدأ قصة أهل الكهف بدخولهم الكهف هربا من قومهم وخوفا على دينهم ان يفتنوا به فناموا في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثهم الله بعد ذلك ليكونوا آية للناس ودليلا على البعث والنشور[5]. يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ

(١) سورة القصص / الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة غافر / الآية ٢٥.

(٣) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، ٢٣٨.

(٤) مع الأنبياء في القرآن الكريم، ٢٣٢.

(٥) القصة في القرآن الكريم، منير القاضي، مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد التاسع / ١٩٩١ / ١٧.

سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾[1] **إلى هنا والسرد يسير بشكل متصاعد ومع مجيء الآية ١٣ يبدأ بالرجوع إلى ماض سبق دخول الفتية إلى الكهف** ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[2].

لقد مثلت هذه الآيات استرجاعا خارجيا يعود لماض سابق لبداية السرد، وقد وضح أحداثا لم تذكر مع بداية القصة، فذكر إن هؤلاء الفتية رفضوا الإشراك بالله واستنكروا عبادة قومهم، ولقد تعرضوا على اثر ذلك لخطر الافتنان بدينهم عن طريق الترهيب والقتل ففروا من الملك الظالم، والتجأوا إلى الكهف، وهنا يعود السرد إلى التصاعد فيتجاوز نقطة الصفر التي تمثل بداية السرد، ويبدأ بعدها باسترجاع داخلي تكميلي إذ يصف حالة أهل الكهف أثناء نومهم، ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[3].

وهذه الأحداث التي جرت (حركة الشمس، تقلبهم في الكهف، جلوس

---

(١) سورة الكهف / الآيات (٩ – ١٢).

(٢) سورة الكهف / الآيات (١٣ – ١٦).

(٣) سورة الكهف / الآيات (١٧ – ١٨).

الكلب، شكلهم المرعب) هي أحداث حصلت بعد دخول الفتية إلى الكهف (بداية السرد) وانتهت باستيقاظهم. لذا فهي استرجاع داخلي شكل مع الاسترجاع الخارجي الذي سبقها استرجاعا مزجيا، وبعد ذلك يبدأ السرد في التصاعد من جديد مع الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ...﴾[1]

وإذا كان الغرض الذي يستفاد منه في هذه القصة هو إثبات حقيقة البعث، فالله الذي جعل الفتية يرقدون في الكهف هذه المدة الطويلة من الزمن ثم أيقظهم بعد ذلك قادر على ان يميت الناس ثم يحييهم من جديد، فإن للاسترجاع المزجي الموجود في القصة أغراضا أخرى كالإشارات الطبية التي وردت فيها ولم تكن معلومة في ذلك الوقت وقد اكتشفها العلم الحديث.

لقد وفر الله لأصحاب الكهف الإقامة فيه بصورة هادئة وصحية لمدة طويلة بعدما وفر لهم الأسباب الآتية[2]:

١ - تعطيل حاسة السمع (وضربنا على آذانهم) لأن الصوت الخارجي يوقظهم.

٢ - التقليب المستمر أثناء نومهم قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ فلا تأكل الأرض أجسادهم، بحدوث تقرحات وهذا ما يوصي به الطب التأهيلي في معالجة المرضى الذي لا يستطيعون الحركة.

٣ - تعرض أجسادهم وفناء الكهف لضياء الشمس بصورة متوازنة ومعتدلة للمحافظة عليها، ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

٤ - فضلا عن ذلك وفر لهم الحماية الخارجية بإلقاء الرهبة على من يراهم، وكذلك وجود الكلب باسط ذراعيه كأنه يحرسهم.

وفي قصة صاحب الجنتين، حينما يدخل إلى جنتيه يرى فيهما نعيما كثيرا

(١) سورة الكهف / الآية ١٩.

(٢) أصحاب الكهف، الدكتور محمد جميل الحبال،جريدة الرأي، منبر الإسلام، العدد ١٠٧,٢٠٠١.

وملكا كبيرا فيأخذه الغرور ويظن ان هذا الملك لن يزول، يقول تعالى فيه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ ﴾[1] فحذره صاحبه من الخطأ الذي وقع فيه و﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ ﴾[2] وفي قول صاحبه نجد استرجاعين الأول خارجي تمثل في تذكير صاحب الجنتين بخلقه من تراب وهو حدث عام بعيد جدا يعود لأصل خلق الإنسان ثم من نطفة وهو حدث بعيد يعود إلى خلق الشخص نفسه ثم سواه رجلا وهو حدث قريب، وهذه الأحداث الثلاثة سابقة لبداية السرد (الدخول إلى جنته). اما الاسترجاع الثاني فهو داخلي تمثل في حادثة الكفر التي نجدها في تعبير صاحبه (أكفرت) وهذه الحادثة جاءت بعد دخوله الجنة، فهي تمثل ماضيا لاحقا لبداية السرد، والاسترجاعان (الخارجي والداخلي) شكلا استرجاعا مزجيا سعته آية واحدة.

والفائدة التي نستقيها من هذا الاسترجاع هي تذكير الإنسان أن اصل خلقه من تراب ثم من نطفة، ومهما بلغ من مكانة في المجتمع ومهما حصل على أموال فهو لن يستطيع تغيير هذه الحقيقة التي يتساوى فيها البشر جميعا، (أما المكانة والمال) فهي من مكونات الدنيا التي قد تتعرض للزوال في أية لحظة وهذا ما حصل لصاحب الجنتين. ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ ﴾[3]، وفي هذه الآية استرجاع مزجي آخر، فالإنفاق حدث سابق لبداية السرد وهو استرجاع خارجي والإشراك حدث لاحق لبداية السرد وهو استرجاع داخلي والاسترجاعان شكلا استرجاعا مزجيا سعته آية واحدة.

---

(١) سورة الكهف / الآيتان ٣٥ - ٣٦.

(٢) سورة الكهف / الآية ٣٧.

(٣) سورة الكهف / الآية ٤٢.



الفصل الثاني

الاستباق

١ - مدى الاستباق.

٢ - سعة الاستباق.

٣ - وظيفة الاستباق.

٤ - المفارقة المعقدة.

مدخل

الاستباق عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت سابق للنقطة التي وقف عندها السرد او الإشارة إليها صعودا إلى المستقبل على شكل قفزات إلى الإمام[1]. ويسمى بتسميات عدة منها (الاستشراف[2]، التوقعات[3]، السوابق[4]). فهو استشراف للمستقبل يدل على أحداث سابقة عن أدائها ويمكن توقع حدوثها والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات[5]، كما يقصد به إشارة إلى فعل لم يحدث بعد ثم يصار بعد ذلك إلى تحققه بوصفه جزءا من الحكاية، ويرد في سياق الأحلام والوصايا والنبوءة[6].

ويتم الاستباق بأكثر من طريقة، ففي القصص القديمة يتم تلخيص الأحداث القادمة عن طريق الراوي كما في الملحمة، أما في القصص الحديثة فإنه يتم اما عن طريق الراوي بضمير المتكلم الذي يعرف كل الأحداث قبل البدء بقصها ومن ثم يستطيع ان يعرف كل الوقائع بغض النظر عن ترتيبها الزمني، أو عن طريق توقع إحدى الشخصيات لما سيحدث او تخطيط هذه الشخصية للمستقبل في ضوء الحاضر[7].

وتبدو تقنية الاستباق بعيدة عن المنطق للوهلة الأولى، إذ إنها تقلل من تشويق القارئ او تشعره بوجود الراوي العليم المطلع على كل شيء[8] غير ان للاستباق أهمية لا تقل عن أهمية الاسترجاع وتتجلى أهميته في الوظائف التي يحققها، وإذا كانت الاسترجاعات في القصة الحديثة أكثر من الاستباقات، فإن

(١) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ١٠٦.

(٢) الألسنية والنقد الأدبي: ٩٦، بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

(٣) قضايا السرد عند نجيب محفوظ: ٧٤.

(٤) مدخل إلى نظرية القصة: ٧٦.

(٥) بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

(٦) السردية العربية: ١٤٤.

(٧) البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٦٣.

(٨) بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

العكس يبدو في القصة القرآنية إذ تكثر الاستباقات فيها، ومن وظائف الاستباق ما يأتي:

١ - التمهيد لأحداث سيجري سردها لاحقا، والغاية من ذلك تهيئة القارئ لتلقي ما سيجري من تغييرات وأحداث مفاجئة، أو ظهور شخصيات جديدة على مسرح الأحداث[١].

٢ - الإعلان عما ستؤول اليه مصائر الشخصيات[٢].

٣ - ملء الثغرات الحكائية التي يخلفها السرد عن طريق الاستباقات المتممة[٣].

٤ - وجود نوع من الاستباقات التكرارية التي تقوم بدور الإنباء[٤].

٥ - يعمل الاستباق على خلق حالة انتظار وتوقع لدى المتلقي يجعله يتابع القراءة للتثبت من تحقيق هذه السوابق او إخفاقها، ويأتي الانتظار لكون المعلومات التي يقدمها السرد الاستشرافي لا تتصف باليقينية، فإذا لم يتم قيام حدث بالفعل فليس هناك ما يؤكد حصوله مما يجعل الاستشراف شكلا من اشكال الانتظار[٥].

ويقوم الاستباق بقلب نظام الأحداث، وهو يشكل الحركة الثانية من حركتي الزمن، اللتين وصفناهما بالمفارقة الزمنية، ويرتبط بما اسماها تودوروف(عقدة القدر المكتوب)[٦].

وكما ان للاسترجاع مدى زمنيا يبين المسافة الزمنية الاسترجاعية في النقطة التي وقف عندها السرد فإن للاستباق أيضا مدى زمنيا بين المسافة الزمنية الاستباقية للنقطة التي وقف عندها السرد، فضلا عما له من سعة تبين المساحة المكانية المتمثلة بعدد الأسطر في الرواية[٧]، وبعدد الآيات في القصة القرآنية.

(١) م. ن. ينظر غائب طعمة فرحان روائيا، دراسة فنية، فاطمة عيسى جاسم رسالة دكتوراه، ١٣٤.

(٢) بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

(٣) مدخل إلى نظرية القصة: ٨٠.

(٤) م. ن.

(٥) بناء السرد التراثي. (وقفة بياض ورياض) لمؤلف مجهول أنموذجا، ٩٨.

(٦) بناء الراوية: سيزا قاسم،٦١.

(٧) خطاب الحكاية: ٧٩.

المبحث الأول
مدى الاستباق

قسم جيرارجينت الاستباق من حيث المدى على قسمين هما[1]:

١ - الاستباق الخارجي: وهو استباق يدفع بالسرد إلى نهايته المنطقية ويقدم ملخصا سريعا للقصة، وهو بهذا يجعل وظيفته ختامية تتمثل في بيان نهاية القصة وما ستؤول إليه الأحداث، سواء كانت النهاية حزينة كموت البطل او رحيله ام نهاية سعيدة كزفاف وعودة وما شابه ذلك.

ويتميز الاستباق الخارجي بمديات بعيدة تستغرق شهورا او سنوات أو مراحل طويلة من الزمن، غير أن سعته قصيرة لا تتجاوز السطر الواحد او السطرين في الرواية او الآية الواحدة في القصة القرآنية، وهي بهذا ترد على شكل تلميحات قصيرة تزيل غموض المستقبل وتفسح المجال أمام رؤية جديدة للقارئ تتعايش مع أحداث الرواية وتفصيلاتها.

٢ - الاستباق الداخلي: يطرح المشاكل نفسها التي يطرحها الاسترجاع الداخلي حيث التداخل والمزاوجة بين أحداث الحكاية الأولى والحكاية الثانية التي يقدمها المقطع الاستباقي. وهو بقسميه (غيري القصة، ومثلي القصة) يمثل استباقا قريبا لا يستغرق مداه سوى لحظات او أيام وتتنوع سعته بين (قصيرة وطويلة)، والاستباق الداخلي غيري القصة لا يسير في خط القصة العام وإنما يتوازى معه في خط آخر ويرتبط به بعلاقة ما.

أما الاستباق الداخلي مثلي القصة فهو يسير في خط واحد مع أحداث الحكاية الأولى ويتداخل معها وينقسم على قسمين هما:

الأول: تكميلي، وهو استباق يسد ثغرة لاحقة تعوض عن حذف او نقصانات مقبلة.

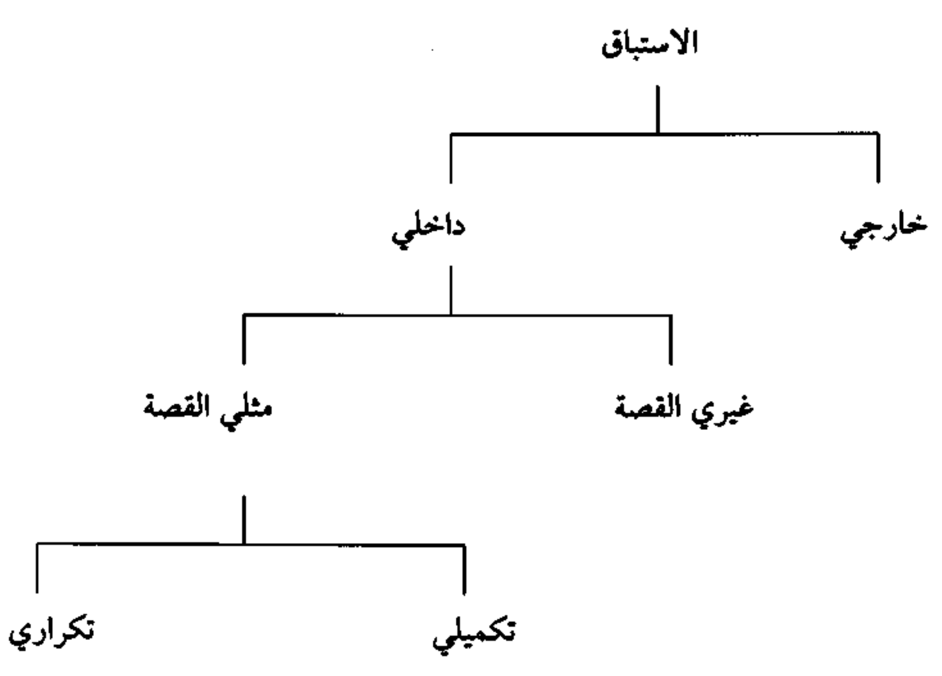
الثاني: تكراري كالاسترجاع التكراري لا يوجد إلا في حالة تلميحات

---

(١) خطاب الحكاية: ٧٧.

وجيزة ترجع مقدما إلى حدث سيروى في حينه مفصلا، ويؤدي دور الإعلان وعبارته المناسبة هي (سنرى وسنرى فيما بعد).

وهذا المخطط يوضح تقسيم الاستباق من حيث المدى:



الاستباق الخارجي

أخذ الاستباق الخارجي في القصة القرآنية عدة اشكال منها:

١ - ما جاء تمهيدا للأحداث لا سيما في فواتح القصص، فبداية قصة يوسف عليه السلام حملت معها استباقا خارجيا مهد لأحداث القصة وأعطى تصورا واضحا عن الخاتمة، وجاء هذا الاستباق في تأويل يعقوب رؤيا يوسف ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[١]. وقد جاءت خاتمة القصة على لسان يوسف مطابقة للتمهيد، ﴿ ... هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ

(١) سورة يوسف /الآية ٦.

جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ...﴾[١]

٢ - ما جاء إنباء عن حوادث ستحصل لاحقا كما في سورة الروم ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾[٢]. وهو إخبار عام عن معركة ستحصل بين الروم والفرس في مدة لا تتجاوز (تسع سنوات)[٣]. وتنتهي بانتصار الروم وهم أهل كتاب أمام الفرس (عابدي النار) وقد نزلت هذه الآية على اثر هزيمة الروم أمام الفرس.

٣ - الوعود التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه وعباده المؤمنين، فالله سبحانه وتعالى يعد إبراهيم ﴿ ... قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]. وهو وعد يضع خاتمة جميلة لقصة إبراهيم، وجمالية الخاتمة نجدها في الصورة المستمرة التي جعل الله فيها إبراهيم عليه السلام إماما للناس ومن ذريته السائرة على هديه.

ومن الوعود التي أعطاها الله لأنبيائه، وعده لموسى عندما طلب منه ان يغفر لقومه بعدما طلبوا منه رؤية الله جهرة فعاقبهم الله على طلبهم وقال لموسى: ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾[٥]، وهو وعد يتحقق بتحقق أحداث تخرج عن قصة موسى وتدخل في

---

(١) سورة يوسف /الآية ١٠٠.

(٢) سورة الروم / الآيات (٢ - ٤).

(٣) كلمة بضع تدل على مدة زمنية تقدر من (٣ - ٩).

(٤) سورة البقرة / الآية ١٢٤.

(٥) سورة الأعراف / الآيتان (١٥٦ - ١٥٧).

قصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وعد آخر يعطيه الله لرسوله والمؤمنين بعدما يصور حال آل فرعون وما سيحاق بهم من عذاب فقال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[1] وهذا الوعد يتحقق مع انتصار كل نبي على المكذبين به.

٤ – ومن الوعد إلى الوعيد فنجده هو الآخر يأخذ في بعض أشكاله استباقا خارجيا وفيه عدة صور منها:

ا – وعيد الله سبحانه وتعالى للكافرين وما سيصيبهم من بلاء في الدنيا والآخرة، ففي قصة آدم عليه السلام يتوعد الله سبحانه وتعالى كل من يعرض عن ذكره بسوء العقاب فيقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ ﴾[2]، ويتوعد قوم نوح بالغرق فيقول: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[3].

ب – وعيد إبليس لعنه الله وتهديده للإنسان، وقد جاء هذا التهديد في عدة سور منها الأعراف والإسراء وص، ومما توعد به إبليس آدم عليه السلام وذريته ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾[4] وفي سورة ص ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾[5]. وقد جمعت هاتان الآيتان استباقين خارجيين هما:

الأول: طلب إبليس أن يؤخره الله إلى يوم القيامة وقد اجابه الله على ذلك.

---

(١) سورة غافر / الآية ٥١.
(٢) سورة طه / الآيات (١٢٤ – ١٢٦).
(٣) سورة هود / الآية ٣٧.
(٤) سورة الإسراء / الآية ٦٢.
(٥) سورة ص / الآيات (٨٠ – ٨٣).

والثاني: توعد إبليس لعنه الله لآدم وذريته بالغواية والإضلال إلا المخلصين منهم وقد رد الله على تهديد إبليس ووعيده بوعيد اشد قوة وأوقع أثرا في النفس قَالَ ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾

ج - وعيد المشركين، فقوم لوط يتوعدونه بالإخراج من المدينة ان لم يترك دعوتهم ونصحهم، فقالوا ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾[1] وشعيب يتوعده قومه بالنفي خارج قريته ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾[2].

ونجد ان وعيد المشركين لا يتحقق وهذا ما يؤكد وعد الله (إنا لننصر رسلنا..).

٥ - التحذير من عقاب الله وعذابه، فصالح عليه السلام يحذر قومه من التعرض للناقة بسوء ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] وقد ضمت الآية استباقين، الأول داخلي تمثل في طلب صالح من قومه ان يتركوا الناقة ترعى وان لا يصيبوها بأذى، والثاني استباق خارجي تمثل في حصول العقاب الدنيوي الذي وعدهم الله به في حالة التعرض للناقة بسوء، وقد عقر القوم الناقة فانزل الله بهم العقاب. وموسى يحذر قومه من التمادي في معصية الله ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[4]

٦ - إخبار الملائكة بقرب وقوع العقاب فقد أخبرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بقرب وقوع العقاب بقوم لوط عندما سألهم عن سبب مجيئهم ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ

(١) سورة الشعراء / الآية ١٦٧.
(٢) سورة الأعراف / الآية ٨٨.
(٣) سورة الأعراف / الآية ٧٣.
(٤) سورة غافر / الآيات (٣١ - ٣٣).

أَرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

٧ - إخبار الأنبياء أقوامهم بوقوع العقاب، فقوم عاد ظنوا بالعارض الذي استقبل أوديتهم بأنه عارض ممطر فأجابهم هود عليه السلام ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] **وهو استباق قريب إذ يتحقق بعد لحظات.**

٨ - دعاء الأنبياء وينقسم إلى قسمين:

أ. طلب المغفرة والنصر من الله، فنوح عليه السلام يدعو ربه ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾[3] **وإبراهيم عليه السلام يطلب من ربه** ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[4]

ب - طلب العقاب للكافرين، فنوح عليه السلام في موضع آخر يدعو ربه أن يعاقب قومه ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[5].

٩ - حمل البشارة للأنبياء وقد جاءت على صورتين:

الأولى: بشرى النصر على الكافرين، فقد بشرت الملائكة لوطا عليه السلام بالنجاة من قومه فقالوا: ﴿ ... يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[6].

---

(١) سورة الذاريات/ الآيات (٣٢ - ٣٤).

(٢) الاحقاف / الآية ٢٤.

(٣) سورة نوح / الآية ٢٨.

(٤) سورة إبراهيم / الآية ٣٥.

(٥) سورة نوح / الآيات (٢٦ - ٢٧).

(٦) سورة هود /الآية ٨١.

الثانية: التبشير بالذرية فقد بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام وزوجته بإسحاق ومن وراء إسحاق ويعقوب ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾[1]. **وبشرت زكريا بيحيى** ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾[2] **ومريم عليها السلام قالت لها الملائكة** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3].

١٠ - وأخيرا جاء الاستباق الخارجي على شكل وصية يوصي بها احد الأنبياء أولاده، فنجد يعقوب يوصي أولاده عندما حضرته المنية ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

الاستباق الداخلي

١ - غيري القصة:

أشار جينيت إلى هذا النوع من الاستباقات لكنه لم يعتمده لكونه لا يتداخل مع الحكاية الأولى، لكننا نجد في القصة القرآنية شواهد كثيرة له لا سيما في البناء التضميني.

فيوسف عليه السلام يدخل السجن ومعه فتيان ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[5] **إن حكاية الرؤية تمثل استرجاعا قريبا يعود إلى الليلة**

---

(١) سورة هود / الآية ٧١.

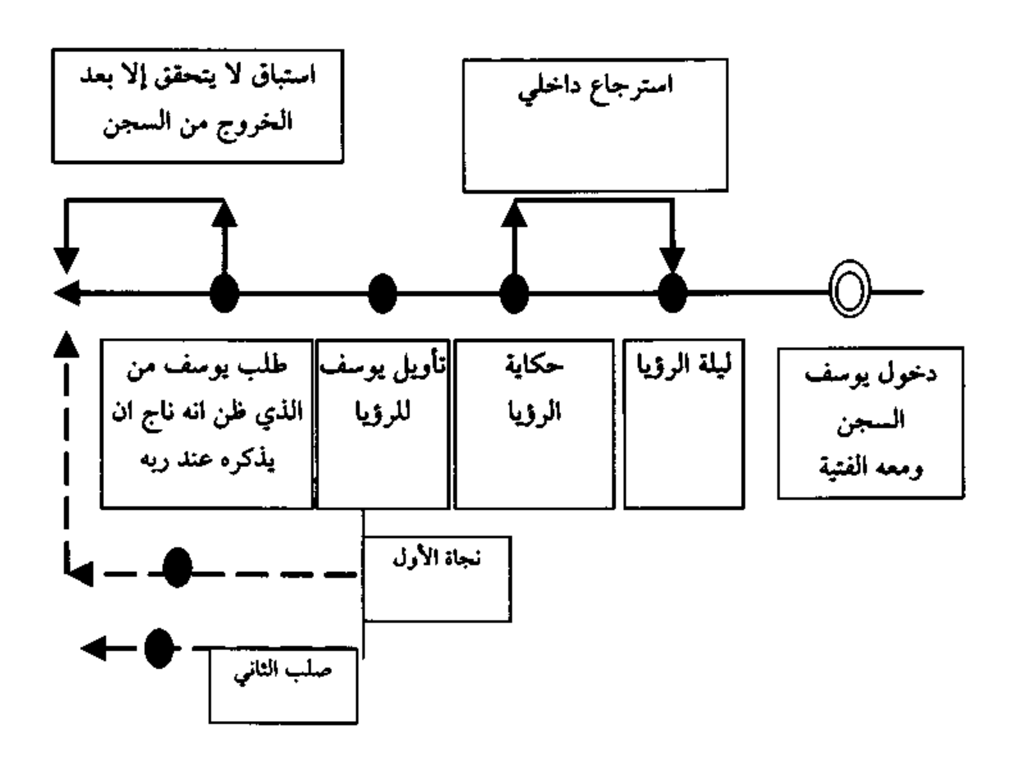
(٢) سورة مريم / الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران / الآيتان ٤٥ - ٤٦.

(٤) سورة البقرة / الآية ١٣٣.

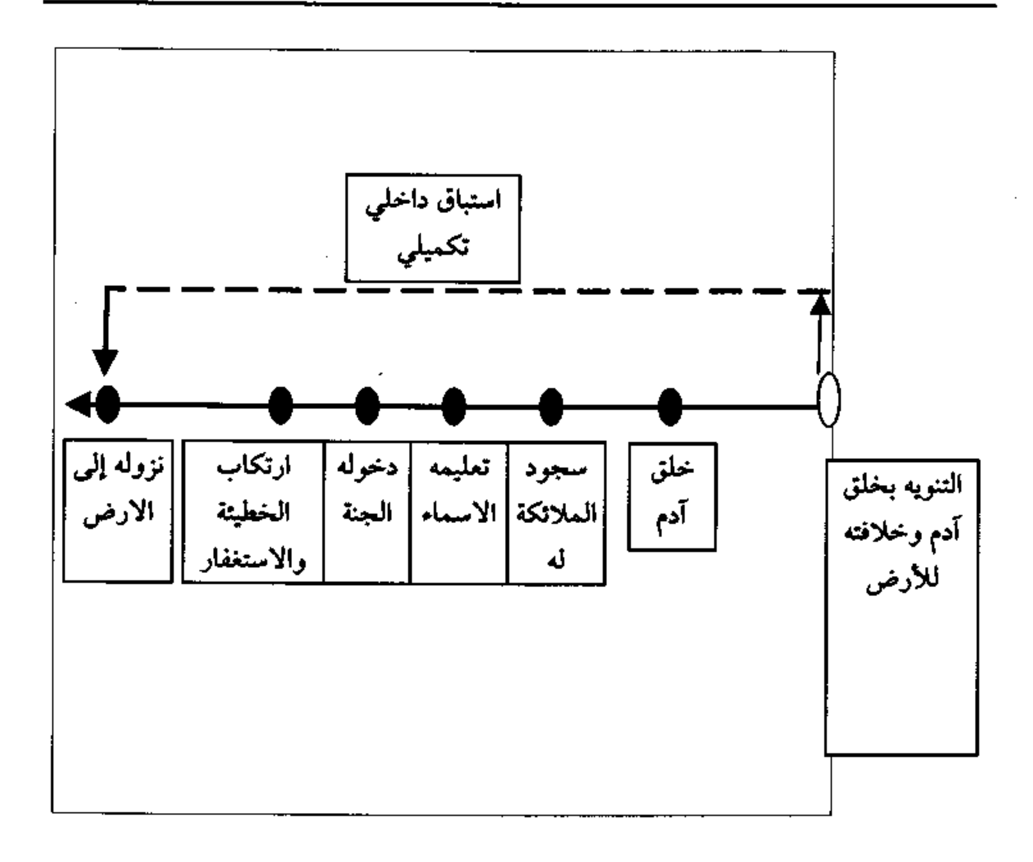
(٥) سورة يوسف. الآية ٣٦.

الماضية، لكن تأويل يوسف للرؤيا مثل استباقا داخليا سار في خط خارج عن الخط العام في قصة يوسف عليه السلام وتوازى معه فقال ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ثم يتداخل معه في استباق آخر ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] إن التنبؤ بمستقبل الفتيين يمثل استباقا لأحداث ستحصل لاحقا لا تداخل مع قصة يوسف الا في حلقاتها الأخيرة مما شكل استباقا داخليا(غيري القصة).



(١) سورة يوسف / الآية ٤١.

(٢) سورة يوسف / الآية ٤٢.



ويتكرر الأمر نفسه مع تأويل رؤيا الملك ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(1).

وهذه الأحداث الاستباقية تخص شعب مصر والناس الذين يحيطون بهم، وقد خرجت عن المسار العام لقصة يوسف ولكنها تداخلت معها من خلال نتائجها، إذ مهدت ليوسف ان يكون وزير الملك ويكون مسؤولا عن خزائن مصر كما مهدت للقائه بإخوته.

---

(1) سورة يوسف / الآيات (٤٧ - ٤٩).

٢ - مثلي القصة:

وينقسم هذا الاستباق على نوعين هما:

الأول: تكميلي وهو استباق يعطي معلومات متممة تعوض عن حذوفات لاحقة[١] وقد جاء من الاستباقات ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]. فنجد في هذه الآية ثلاث استباقات الأول والثاني منهما استباقان تكميليان، إذ إنهما عوضا عن حذف مقدم، فالأول يخبر الله فيه الملائكة بوظيفة الإنسان في الدنيا وهي الخلاقة، وهو استباق جعل من الأحداث التي حصلت قبل نزول الإنسان إلى الأرض ثانوية وممهدة للغرض الرئيس وهو خلافة الأرض، من دون ان يذكر السرد ذلك صراحة. والاستباق الثاني جاء على لسان الملائكة ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] ويوحي قول الملائكة هذا بأنه كانت لديهم من شواهد الحال او من الهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق او من مقتضيات حياته على الأرض، وما يجعلهم يعرفون او يتوقعون انه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء[٤].

أما الاستباق الثالث فهو استباق تكراري جاء في قوله تعالى: (.. قال إني أعلم ما لا تعلمون) وموسى عليه السلام عندما سقى للفتاتين استدعاه أبوهما ليجزيه اجر ما سقى لهما ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٥]. وهي بهذا الطلب تشير إلى صفتين في موسى يحتاجهما

(١) مداخل إلى نظرية القصة: ٨٠.

(٢) سورة البقرة / الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة / الآية ٣٠.

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب، ١، ٦٦.

(٥) سورة القصص / الآية ٢٦.

صاحب المال للحفاظ على ماله (القوة والأمانة) وهو استباق لسؤال كان من البديهي ان يسأله شعيب فجاء متمما لحذف مقدم في السرد.

وفي قصة بني إسرائيل مع ملكهم طالوت ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، لقد كان مطلب بني إسرائيل من نبيهم ان يكون لهم ملك يقاتلون تحت إمرته، فإذا بهم يجادلون في اختيار الله لطالوت ويلوون أعناقهم، وهم يرون أنهم أحق منه بالملك، ولكي يقتنعوا بأحقيته اخبرهم نبيهم ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] إن الإخبار بمجيء التابوت شكل استباقا تكميليا جاء ليسد ثغرة سردية مقدما إذ لم يذكر بعد ذلك مجيء التابوت. وكان بنو إسرائيل يعدون التابوت إحدى علامات النصر على أعدائهم لذا وصفه الله تعالى: (فيه سكينة) وقد اخذ منهم على اثر خروجهم من الأرض المقدسة بعد انقضاء عهد نبيهم يوشع[3].

الثاني: تكراري، حيث يستبق حدثا سيرد ذكره مرة ثانية بشكل مباشر عن طريق التكرار اللفظي او غير مباشر بذكر تفاصيله، ونجد في قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4] استباقا تكراريا غير مباشر لأنه يمثل حياة الإنسان على الأرض فيتكرر مع كل حدث يقوم به الإنسان في الحياة والموت والخروج، ويشكل ذلك تفصيلا للاستباق التكراري.

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٤٧.

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٤٨.

(٣) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، ٣٠٣.

(٤) سورة الأعراف / الآيتان (٢٤ - ٢٥).

وطالوت عندما فصل بالجنود قال لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]. أعلن عن أحداث ستحصل لاحقا وسيرويها السرد وهو استباق تكراري مباشر أراد به طالوت ان يختبر جنوده فطاعة القائد أمر في المعركة، لكن بني إسرائيل اخفقوا بهذه الاختبار (فشربوا منه) إلا قليلا منهم استعانوا بالله وأعلنوها عزيمة صادقة مؤمنة بوجه من قال (لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللهِ) وقالوا(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) فانتصروا على أعدائهم وقتل داود جالوت.

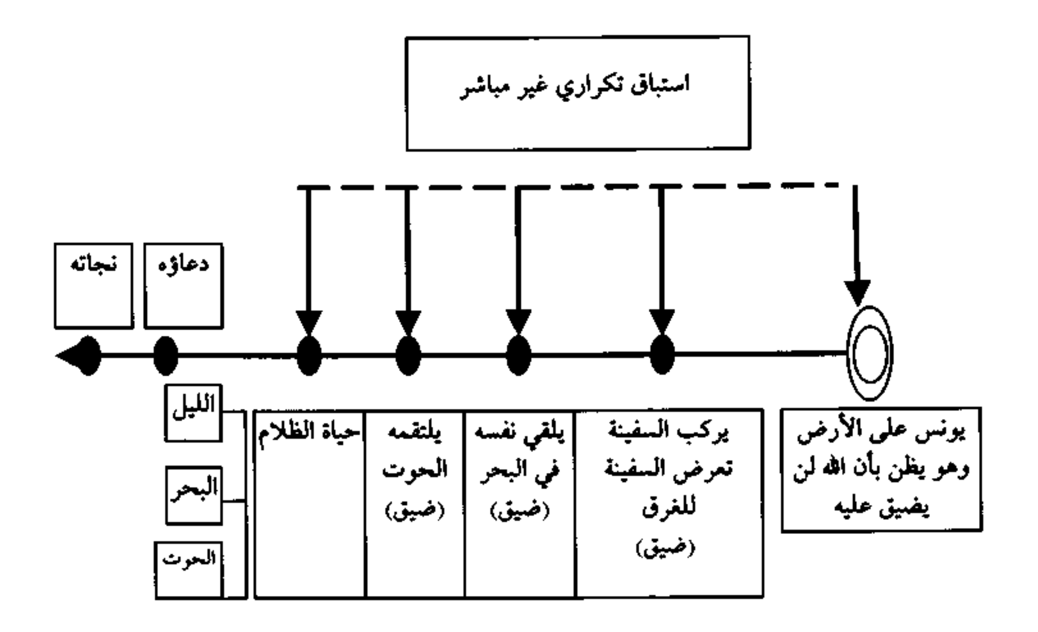
وموسى عليه السلام يقرر الذهاب لملاقاة العبد الصالح فقال لفتاه ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾[٢] وهو استباق تكراري أعلن عن حدث سيرد ذكره فيما بعد بدليل الآية ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ...﴾ [٣] وكان هذا المجمع علامة للقاء موسى بالعبد الصالح مما شكل طليعة استباقية سيرد ذكرها فيما بعد.

وفي قصة يونس عليه السلام يقول الله سبحانه وتعالى﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٤] نجد أن ظن يونس بعدم التضييق عليه يمثل استباقا تكراريا غير مباشر غير ان التضييق حصل في ظلمات ثلاث(الليل والبحر وبطن

(١) سورة البقرة / الآية ٢٤٩.
(٢) سورة الكهف / الآية ٦٠.
(٣) سورة الكهف / الآية ٦١.
(٤)سورة الأنبياء / الآية ٨٧.

الحوت)، فلم يكن أمامه سوى التضرع إلى الله تعالى لينقذه وكان له ما أراد ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]

(١) سورة الأنبياء / الآية ٨٨.



وقد مثلت هذه الحوادث درسا كبيرا ليونس مهدت له القيام بالمهمة التي أوكل بها ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[1]

(١) سورة الصافات/ الآية: ١٤٧.

المبحث الثاني
سعة الاستباق

السعة هي المساحة المكانية التي تحتلها المفارقة الزمنية المتمثلة بـ (الاسترجاع والاستباق) ضمن زمن السرد وتقاس بالسطور والفقرات في القصة وبالآيات في القصة القرآنية ويقسم الاستباق من حيث السعة على قسمين هما:

١ - الاستباقات الكاملة:

وهي تلك الاستشرافات التي تمتد في زمن القصة حتى حل العقدة فيما يخص الاستباقات الداخلية او حتى اللحظة السردية الختامية فيما يخص الاستباقات الخارجية[١]. وتعد الخلاصة الاستباقية التى تقوم بتلخيص الأحداث اللاحقة عن النقطة الزمنية التي وصل اليها السرد[٢]، من أهم صور الاستباق الكامل.

٢ - الاستباقات الجزئية:

وهي استشرافات غالبا ما تتوقف بكيفية صريحة، صراحة الكيفية التي كانت قد افتتحت بها[٣].

١ - الاستباق الكامل:

ومن الأمثلة على الاستباق الداخلي الكامل ما نجده في قصة عيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ

(١) خطاب الحكاية: ٨٥.

(٢) بنية الشكل الروائي: ١٤٩.

(٣) خطاب الحكاية: ٨٥.

وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[1].

ان طلب الحواريين ان ينزل الله عليهم مائدة من السماء استشراف داخلي لحقته استشرافات أخرى لم تتوقف حتى العقدة المتمثلة بنزول المائدة وهذا واضح من خلال الأفعال الاستباقية الموجودة في الآية وهي (هل يستطيع ان ينزل،اتقوا، نريد، نأكل،نطمئن،نعلم، نكون، انزل، ارزقنا، فمن يكفر، أعذبه،...) مما شكل استباقا كاملا انتهى بنهاية حدث داخلي وقع ضمن سلسة من الأحداث التي شكلت قصة عيسى عليه السلام. وهذا ما نطلق عليه بالاستباق الداخلي الكامل. وقصة المائدة هي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عندما أجاب دعاءه بنزولها فانزل الله آية باهرة وحجة قاطعة[2]. تخرس الالسنة وتطمئن كل مرتاب، وقد جاءت بناء على طلب الحواريين (أتباع عيسى عليه السلام) ليتثبتوا من صدق رسالته وتطمئن قلوبهم بالإيمان.

اما الاستباق الخارجي الكامل فقد ورد في قصة أبي لهب إذ يقول الله جل وعلا﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝ ﴾[3].

ونجد الاستشرافات في هذه الآية قد تواصلت من بداية القصة إلى نهايتها وهي استشرافات لأحداث ستقع في يوم القيامة بعد ما يحاسب الناس على أعمالهم، وقد جاءت الصيغ الاستباقية الآتية لتدل عليها (ما أغنى، سيصلى،امرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد). وقد نزلت سورة المسد، بعد ما كذب أبو لهب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال لعشيرته، أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ فقالوا نعم ما جربنا عليك كذبا، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا،

---

(١) سورة المائدة / الآيات ١١٢ - ١١٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢، ١١٧.

(٣) سورة المسد/ الآيات ١ - ٥.

فانزل الله في شانه (تبت يدا أبي لهب....) وأبو لهب احد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وسمي أبولهب لإشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله والبغضة له والازدراء به وبدينه[١] وقد مثلت هذه القصة دليلا واضحا على صدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وحجة له على الناس وإعجازا استرمزه الناس من خلال استشرافاته المستقبلية ليؤكد بان هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى، فقد استبق مصير إنسان لم تنته حياته بعد وشهد له بالعذاب بعد ما يموت كافرا بالله ورسوله وقد تشهد دنياه تغييرات كثيرة فيدخل الإسلام كما دخله غيره من أهل مكة، حينه سيرى الناس في القرآن الكريم رأيا آخر فأية معجزة ابهر واقهر من أمر لايكلف صاحبه أكثر من كلمة ولا تسمح له الحياة بقولها فمات غيظا وكمدا بعد معركة بدر بسبعة أيام وحقت كلمة الله عليه لتكون دليلا جديدا على صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في ان القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى[٢] وجاءت الخلاصة الاستباقية في قصة بني إسرائيل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[٣].

لقد مثلت هذه القصة خلاصة استباقية لأحداث ستحصل في المستقبل وتتمحور في النزاع الأزلي بين اليهود والمسلمين، فالمتبادر إلى الذهن ان المقصود

(١) إعجاز القرآن: عبد الكريم الخطيب، ٤٥.

(٢) م. ن.

(٣) الإسراء / الآيات (٤ – ٨).

بالكتاب في قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) هو القرآن الكريم وعلى هذا الأساس يكون إفساد اليهود في الأرض، وبعث عباد الله أولي بأس شديد لسحقهم مرتين بعد نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم. وقد حصلت المرة الأولى في صدر الإسلام عندما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس غازيا فاتحا وجاس خلال بلاد الشام فيما لاحت بوادر الثانية تحقيقا لوعد الله تبارك وتعالى فقد رد الكرة لليهود على المسلمين وأمدهم بالأموال تأتيهم بغير حساب من أمريكا وأوربا وأمدهم بالبنين لا سيما عن طريق الهجرة من أنحاء العالم وطغوا وتجبروا وعلو علوا كبيرا[1].

ان هذه الخلاصة الاستباقية شكلت استباقا كاملا يمتد لسنوات طويلة من دون وجود توقف سردي بين فواصلها وقد امتلأ هذا الاستباق بالأحداث التي جاءت على شكل قفزات انبائية متعددة تمثل فترات زمنية مستقبلية وهذه الانباءات تتسم بالجزم المصور بـ(وقضينا) فهي تعني أمرا جازما لا شك فيه وإعلانا عن حقائق لا لبس فيها.

ان الغرض الذي تحققه الاستباقات الكاملة يتمثل في إعطاء القارئ صورة واضحة عن الأحداث المستقبلية التي ستحصل من بدايتها إلى نهايتها، وهنا يتحول التشويق من التطلع إلى النهايات المجهولة إلى التركيز على الأحداث التفصيلية في القصة والى الكيفية التي تقودنا للوصول إلى النهاية.

٢ - الاستباق الجزئي:

تكاد تكون الاستباقات الجزئية سمة بارزة في القصة القرآنية إذ لا توجد قصة تخلو منها وإذا كانت الاستباقات الكاملة تشغل تفكير القارئ بالأحداث الصغيرة فإن الاستباقات الجزئية تجعل القارئ ينظر بفكره إلى النهايات من خلال توقعه الذي يعتمد على ما توفره له الاستباقات الجزئية كما انها قد تركز على أحداث صغيرة منفردة وليست على القصة بأكملها.

---

(١) من أنباء الرسل: عبد السلام محمد بدوي، ج١، ٣٩٧ - ٣٩٩، ينظر: الخلاف بين التوراة والقرآن: محمد علي حسين، ٤٨.

وفي أمثلة الاستباقات الجزئية في القصة القرآنية ما نجده في قصة القرية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، إذ يقول الله سبحانه وتعالى عنها ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾[1].

لقد قيل عن هذه القرية انها أيلة وقيل مدين وقيل طبرية وهي قرية قريبة من البحر وكانوا يصطادون الحيتان كل يوم الا السبت، تعظيما له لينشغلوا فيه بعبادة الله، وقد جاء هذا النهي لاختبار إيمانهم ومما زاد بلاءهم ان الحيتان صارت تأتي يوم السبت ولا تأتي بقية الأيام مما جعل أهل القرية ينقسمون بين عاص لا يلتزم أمر الله ومطيع واعظ يحذر قومه من الاستمرار في المعصية وقد خرج على القسم الثاني مجموعة تنكر الإسراف في الوعظ بعد ما تبين لهم ان العذاب واقع بهؤلاء القوم، حتى إذا جاء العذاب لم ينج منهم الا الذين كانوا ينهون عن السوء وصار العاصون قردة خاسئين، ثم بعد ذلك يسلط الله عليهم من يسومهم العذاب إلى يوم القيامة[2].

لقد تخلل سرد القصة استباقات ثلاثة وهي:

١ - ان الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا.

٢ - لعلهم يتقون.

٣ - ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأعراف / الآيات(١٦٣ - ١٦٧).

(٢) التفسير الكبير: ١٥، ٣٦ - ٤٢.

ومع كل استباق نجد توقفا صريحا أوجده السرد ليأخذ تصاعده الطبيعي في القصة فالاستباق الأول توقف عند (معذرة إلى ربكم) وهو جواب على بداية الاستباق (لم تعظون). والتوقف الثاني أوجده السرد ليعيد ترتيب الأحداث السردية ترتيبا تصاعديا، والتوقف الثالث جاء بعد الوعيد ليشهد عددا من التفاصيل عن اليهود أوجدها السرد ليؤكد تحقيق وعد الله ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[1].

ان كل استباق من هذه الاستباقات الثلاثة هو استباق جزئي أعطى صورة عن حدث منفرد تؤكده التوقفات التي أعقبته مع رابط يربطها معا كونه في قصة واحدة.

وفي قصة ذي القرنين نجد عدة استباقات جزئية تمثلت في الآيات القرآنية ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2]. وقد تمثلت هذه الاستباقات في المقاطع الآتية:

١ - ﴿ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ / وهو تخير من الله لذي القرنين بما سيفعله بالأقوام.

٢ - ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ / وهو حكم عادل يحاسب الذي يستمر في الظلم ويصر على الكفر.

٣ - ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ / ان عذاب ذي القرنين عذاب دنيوي وهناك عذاب أعظم واشد هو عذاب الله سبحانه عندما يرد الناس إلى الله يحاسبهم على أعمالهم.

٤ - ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا

(١) سورة الأعراف / الآية ١٦٨.

(٢) سورة الكهف / الآيات ٨٦ - ٨٨.

يُسۡرٗا ﴾ / وهي الكفة الثانية المعادلة لحكمه العادل فمن يعمل صالحا ويرجع عن ظلمه وآثامه فله الجزاء الحسن والمعاملة اليسيرة (انها سياسة العدل التي تورث التمكين في الحكم والسلطة وفي قلوب الناس الحب والتكريم للمستقيمين، وإدخال الرعب في قلوب أهل الفساد والظلم)[١].

ان هذه الاستباقات الجزئية مثلت محورا من ثلاث محاور جمعتها قصة ذي القرنين وقد أوقفها السرد في الآية ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾[٢]. ليتابع سيره المنتظم إلى الأمام ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴾[٣]. وقد أعطت تصورا واضحا عن مهمة ذي القرنين الأولى.

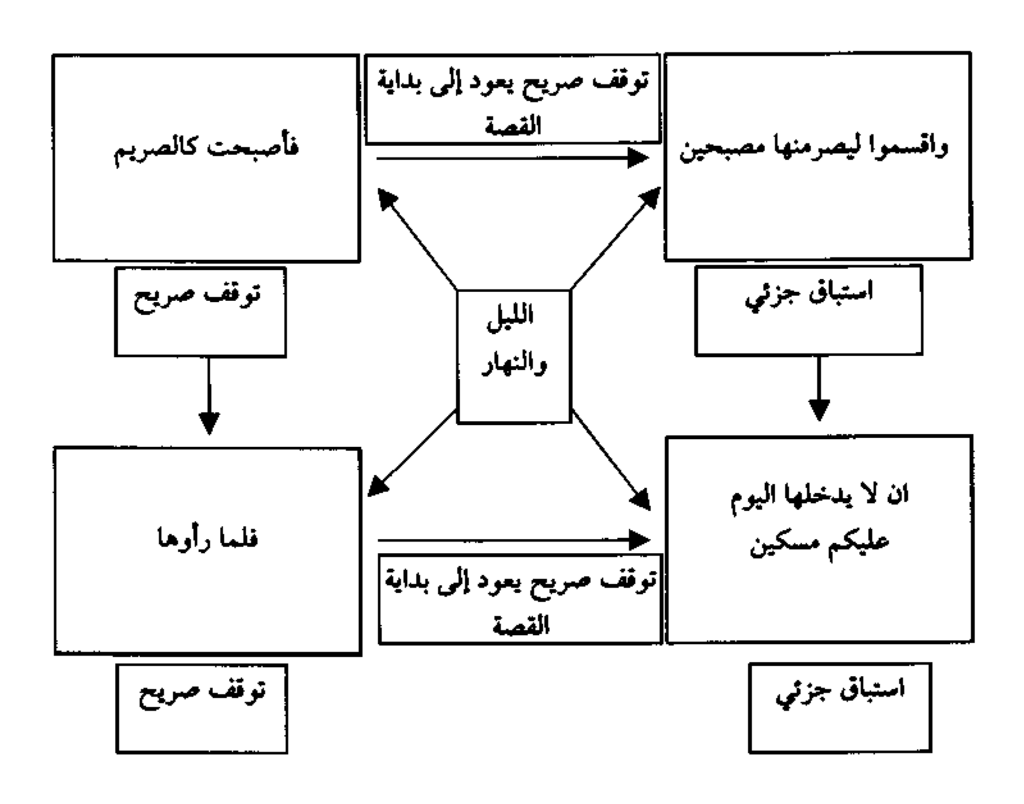
وفي قصة أصحاب الجنة نجد فيها استباقا جزئيا تمثل في ﴿ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٤]. وقد توقف هذا الاستباق في الآية التي بعدها ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[٥] وهو توقف صريح يناسب بداية القصة ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[٦] فالطائف الذي أصاب الجنة هو البلاء الذي ضرب مثلا لقريش وهو نتيجة ما خططوا له ودبروا ليمنعوا الفقراء والمساكين من جنتهم واردفوه باستباق آخر مع الصباح الباكر ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[٧] وقد حمل هذا الاستباق على تأكيد النية وتأصير العزيمة على التنفيذ دون ان يعلموا بالبلاء الذي أصاب جنتهم، فكان وقع المفاجأة فيهم عظيما بعدما رأوا جنتهم وقد دمرت

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، ٣٠٥.
(٢) سورة الكهف / الآية ٨٩.
(٣) سورة الكهف / الآية ٩٠.
(٤) سورة القلم / الآيتين ١٧ - ١٨.
(٥) سورة القلم / الآيتين ١٩ - ٢٠.
(٦) سورة القلم / الآية ١٧.
(٧) سورة القلم / الآيتين ٢٣ - ٢٤.

فما كان منهم الا ان قالوا ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

ونلاحظ في القصة زمنين متعاقبين (الليل والنهار) إذ كان القسم والبلاء في الليل بدلالة (ليصرمنها مصبحين)، (وهم نائمون) والانطلاق والرؤية في النهار بدلالة (فتنادوا مصبحين) و(فلما رأوها) والكيفية التي أوقفت الاستباق في الزمنين جاءت موافقة للكيفية التي بدأت بها القصة من خلال الرابط الذي يربط الأحداث الأربعة:

وهذا المخطط يوضح الاستباق الجزئي في القصة



(١) سورة القلم / الآية ٢٧.

المبحث الثالث
وظيفة الاستباق

وينقسم الاستباق بحسب طبيعة المهمة المسندة اليه في النص على قسمين هما:

١ - الإعلان

وهو استباق يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق، ودوره يتمثل في التنظيم بسبب التوقع الذي يحدثه الإعلان في ذهن القارئ وهذا التوقع قد يتحقق على الفور في الإعلانات ذات المدى القصير، ولكن الغالب ان يكون الإعلان طويل المدى ومن شأنه ان يخفف من حدة سوء الفهم ويسوغ حوادث يمكن حضورها[١]، وينقسم الإعلان على قسمين هما:

أ - التمهيد: وهو استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع ومحتمل الحدوث في العالم المحكي[٢].

ب - الانباء: وهو استباق زمني يخبر صراحة عن الأحداث التي ستحصل لاحقا، وهذا النوع من الاستباق لا يمكن له الا ان يتحقق ووظيفته تتمثل في خلق حالة انتظار عند القارئ[٣].

٢ - الطليعة:

مجرد علامة استباقية بلا استشراف ولو كان تلميحا، لن تكتسب دلالتها الا فيما بعد وتتعلق بفن التهيؤ الكلاسي (كأن تظهر شخصية منذ البداية لن تتدخل حقا الا بعد ذلك بكثير) ووظيفتها جعل القارئ يتوقع حصول أحداث سيشهدها السرد ويرسم في ذهنه مواقف استباقية، مما يتطلب قارئا متمرسا يمتلك خبرة عالية[٤].

---

(١) خطاب الحكاية: ٨١، ٨٣.

(٢) بنية الشكل الروائي: ١٣٣.

(٣) مدخل إلى نظرية القصة: ١٨٠.

(٤) خطاب الحكاية: ٨٣.

لقد عمد عدد من النقاد والباحثين إلى تقسيم الاستباق من حيث أداء الوظيفة إلى إعلان وتمهيد)[1] وهذا خطأ واضح وقعوا فيه إذ إنهم قصدوا بالتمهيد الطليعة عند جينيت، فيما سماها: آخرون بـ (الفواتح)[2]. وهناك فرق واضح بين التمهيد والطليعة، فالتمهيد هو استشراف يمهد لأحداث قادمة، غير أن الطليعة كما يقول جنيت هي علامة بلا استشراف.

كما إن دلالة التمهيد تظهر منذ البداية في حين ان الطليعة بذرة غير دالة لا يظهر معناها إلا فيما بعد عن طرق الأرجح[3].

إن مهمة الطليعة إعطاء القارئ عددا من الإشارات التي تساعد على الاستدلال لما سيحصل وهذا يعتمد على كفاءة القارئ السردية التي تمكنه من ان يسترمز الشفرة السردية عموما او الشفرة الخاصة بجنس او عمل أدبي ما، ومن تعرف الـ (بذور) منذ ظهورها.

وقد يعمد الكاتب إلى استغلال هذه الكفاءة فيعرض على القارئ طلائع مغلوطة وخداعا مألوفا لدى هواة الرواية البوليسية[4]. ويمكننا من خلال طريقتين ان نتعرف على الطليعة الاستباقية وهما:

١ - ظهور شخصية لن تتدخل في أحداث الرواية إلا بعد ذلك بكثير وهذا يتعلق بفن التهيؤ الكلاسي[5].

٢ - الوصف الوظيفي، وهو وصف بنائي يمهد لأحداث قادمة كانت ستثير أسئلة كثيرة لدى القارئ لو لم يتدخل الوصف لإيضاحها[6].

بقي أن نشير إلى أن جميل شاكر وسمير المرزوقي قد ذكرا تسمية الإنباء بدل الإعلان والفاتحة بدل الطليعة وقالا: (ان من الواجب الا نخلط بين هذا

---

(١) ينظر إلى بنية الشكل الروائي: ١٣٢.

(٢) ينظر إلى مدخل نظرية القصة: ٨٠.

(٣) خطاب الحكاية: ٨٤.

(٤) خطاب الحكاية: ٨٤.

(٥) خطاب الحكاية: ٦٣.

(٦) الإنسان والطبيعة في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف: محمد علي شوبكة، المنارة، المجلد ٤، ع ٣، ١٩٩٩، ٣٣٧.

الانباءات التي لا ترد إلا بصيغة صريحة والفواتح وهي معطيات لا يفهم معناها إلا فيما بعد وترتبط بفن التمهيد القصصي)، وذكرا عددا من النماذج عن الفاتحة (كذكر عرضي لاحمرار الوجنتين، أو رعشة تحس بها شخصية ولا يفهم القارئ معناها الا بربطها ببعضها وإيصالها بسير الأحداث)[1].

وتكثر الفاتحة في الروايات البوليسية وهي مؤشرات يتمكن القارئ بفضلها من الاقتراب شيئا فشيئا من حل اللغز[2].

١ - الإعلان:

١ - التمهيد:

في قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة نجد في الآية الكريمة ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] إعلانا مهد لأحداث ستحل لاحقا، إذ ان سكن آدم وزوجه الجنة لم يكن سكنا دائما بدلالة قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4] لذا رسمت هذه الآية خطوطا مستقبلية مهدت لنزول آدم إلى الأرض، وقد تمثلت هذه الخطوط بالأحداث الآتية:

١ - وسوسة الشيطان لآدم وحواء بالأكل من الشجرة.

٢ - الانصياع إلى غواية الشيطان والوقوع في الخطيئة.

٣ - إعلانهما التوبة وطلب المغفرة من الله تعالى.

٤ - قبول توبتهم وإنزالهم إلى الأرض.

وفي قصة ولدي آدم هابيل وقابيل ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ

(١) مدخل إلى نظرية القصة: ٨٠.

(٢) مدخل إلى نظرية القصة: ٨١.

(٣) سورة البقرة / الآية ٣٥.

(٤) سورة البقرة / الآية ٣٠.

ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

لقد أعلنت هذه الآية عن سلسلة من الأحداث التي ستحصل ومهدت لها بحوار جرى بين الأخوين بين غضب ثائر مثله قابيل وحلم ساكن مثله هابيل، فالأول هدد بالقتل والثاني حذر منه، وصورة أول جريمة يرتكبها الإنسان بحق أخيه تكتمل مشاهدها فتأتي الأحداث بعد ذلك وقد توضحت نتائجها للقارئ.

قابيل يقتل هابيل ← يشعر بالندم على قتل أخيه ← تزداد متاعبه بوجود جثة أخيه معه لا يعلم ماذا يفعل بها ←يبعث الله غرابين يعلمانه كيف يواري سوأة أخيه[2].

وفي قصة صالح عليه السلام تآمر لقتله تسعة رهط ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[3] **وهو تمهيد لأحداث لم تحصل بسبب فشل المؤامرة بعدها نجا الله صالحا منهم** ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[4].

ونجد إبراهيم عليه السلام يعقد النية على تحطيم الأصنام ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[5]. **وهو إعلان مهد لأحداث كثيرة سيذكرها السرد لاحقا، بدءا من تحطيم الأصنام، ثم تعليق الفأس في رقبة كبيرهم، ثم رجوع القوم من عيدهم ومشاهدة آلهتهم المحطمة، ثم محاكمة إبراهيم وأخيرا**

---

(١) سورة المائدة / الآيات ٢٧ - ٢٩.

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: ١٦٨ - ١٦٩، ينظر قصص من القرآن الكريم: محمود زهران، ١٢.

(٣) سورة النمل / الآية ٤٩.

(٤) سورة النمل / الآيتان (٥١ - ٥٢).

(٥) سورة الأنبياء / الآية ٥٧.

إلقائه في النار.

وفي موضع آخر من قصة إبراهيم، نجد له صورة أخرى، لكن هذه المرة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

إن رؤيا الأنبياء أمر من الله لا بد تنفيذه، وقد علم إبراهيم عليه السلام ان الله تعالى يريد ان يختبر إخلاصه، فأمره بذبح ابنه اختبارا عظيما نجح فيه إبراهيم عليه السلام بعدما فوض أمره إلى الله تعالى، ونجح فيه إسماعيل عليه السلام وهو يقول لأبيه (افعل ما تؤمر وستجدني إن شاء الله من الصابرين).

لقد ضمت هذه الآية استباقا مهد لأحداث كثيرة سيمر عليها السرد فيما بعد وصور الاستباق نجدها في رؤيا إبراهيم (إني أرى في المنام إني أذبحك)، وفي رد إسماعيل (افعل ما تؤمر)، أما الأحداث التي مهد لها الاستباق فهي قيام إبراهيم بعملية الذبح (فلما اسلما وتله للجبين)، وفي نداء إبراهيم ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2] وفي فدية إسماعيل ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].

وفي قصة لوط عليه السلام ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[4] نجد إعلانا صريحا عن صعوبة الأحداث التي ستحدث بعد قليل وهو إعلان تمهيدي قصير المدى استمد خيوطه من الأمور التي أسس بموجبها لوطا عليه السلام استباقه للأحداث التي ستحصل بعد حين.

وهذه الأمور هي:

---

(١) سورة الصافات / الآية ١٠٢.
(٢) سورة الصافات / الآيتان (١٠٤ - ١٠٥).
(٣) سورة الصافات / الآية ١٠٧.
(٤) سورة هود / الآية ٧٧.

١ - الحال الشاذة التي كان عليها قوم لوط وهي إتيان الذكر دون الأنثى.

٢ - الهيئة الجميلة التي جاء بها الملائكة[١].

٣ - حالة الضعف التي كان عليها لوط مقابل القوة التي كان عليه قومه وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة على لسان لوط نفسه ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[٢]. هذه الأمور جعلت لوطا يتوقع أن يكون هذا اليوم عصيبا وهو توقع اقرب إلى اليقين نتيجة لليأس الذي ملأ نفسه في إصلاح قومه، وقد أكدت الأحداث التي حصلت بعد ذلك صحة ما توقعه لوط، فقد كان اليوم عصيبا لأنه شهد بداية عذاب القوم وانتهاء أمرهم بعدما طلبوا منه تسليم ضيوفه على الرغم من كل المحاولات التي قام بها لإقناعهم بالعدول عن ذلك.

وفي قصة يوسف عليه السلام نجد مجموعة من الاستباقات التمهيدية ومنها:

١ - عندما حذر يعقوب يوسف وطلب منه ألا يقص رؤياه على إخوته فقال له ﴿ ... لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ...﴾[٣]، وهو إعلان مهد لأحداث القصة كلها.

٢ - محاولة إخوة يوسف لإقناع أبيهم بإرسال يوسف معهم فقالوا ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٤]، وهو تمهيد شكل بداية للمؤامرات التي اتفق على تنفيذها اخوة يوسف.

٣ - خوف يعقوب على يوسف ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾[٥]، وخوف يعقوب كان من أبنائه وليس من

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم: ١٤٤.
(٢) سورة هود / الآية ٨٠.
(٣) سورة يوسف / الآية ٥.
(٤) سورة يوسف / الآية ١٢.
(٥) سورة يوسف / الآية ١٣.

الذئب، فهو يعلم أن الذئب محرم عليه أكل يوسف لما أعطاه سبحانه وتعالى من علمه.

٤ - تهديد امرأة العزيز ليوسف أمام النسوة ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[١]، وهو تمهيد شكل بداية لمرحلة جديد سيعيشها يوسف في السجن.

٥ - طلب يوسف من الملك ان يجعله على خزائن الأرض ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢]. وهو استباق مهد ليوسف الالتقاء بإخوته.

٦ - طلب يعقوب من أبنائه ان يتحسسوا أخبار يوسف وأخيه ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾. وهو استباق مهد لنهاية القصة.

اما الاستباقات التمهيدية في قصة موسى عليه السلام فهي كما يأتي:

١ - أمر الله سبحانه وتعالى أم موسى بان تلقه في اليم ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[٣]، وهو تمهيد يبين شكل بداية القصة.

٢ - طلب امرأة فرعون بإبقاء موسى وعدم قتله فقالت لزوجها ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤]، وهو استباق مهد لموسى أن يعيش في قصر فرعون.

٣ - العرض الذي تقدمت به أخت موسى إلى آل فرعون ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

---

(١) سورة يوسف / الآية ٣٢.

(٢) سورة يوسف / الآية ٥٥.

(٣) سورة القصص / الآية ٧.

(٤) سورة القصص / الآية ٩.

أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾[١].

٤ - نصيحة الرجل لموسى بالهرب بعد ما قتل القبطي ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[٢]، استباق مهد لموسى أن يعيش حياة جديدة في مدين.

وفي قصة سليمان عليه السلام عندما تفقد الهدهد فلم يجده قال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[٣]، وهو استباق مهد لأحداث كثيرة ستحصل لاحقا، تبدأ بخبر ملكة سبأ مع قومها وما جرى لها مع سليمان وتنتهي بإسلامها وترك عبادة الشمس والقمر، ويتخللها استباق تمهيدي آخر ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[٤]. وقد أرادت بهذه الهدية اختبار سليمان، وقد شعر سليمان بذلك فجاء رده عنيفا ليلقي الخوف من قلب ملكة سبأ فقال ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[٥].

١ - الانباءات: وهي إعلانات لا يمكن لها الا ان تتحقق وقد جاءت في القصة القرآنية على مديات مختلفة (بعيدة وقريبة)، فمن الانباءات البعيدة ما جاء على لسان نوح عليه السلام ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[٦] وفيها إخبار نوح عليه السلام عن أمر سيحصل في المستقبل البعيد عن لقاء المؤمنين بربهم يوم القيامة بعد ان سبقه بإعلان قريب لكنه تمهيدي ذكر فيه بأنه لن يطرد الذين امنوا بناء على طلب المشركين.

---

(١) سورة القصص / الآية ١٢.
(٢) سورة القصص / الآية ٢٠.
(٣) سورة النمل / الآية ٢١.
(٤) سورة النمل / الآية ٣٥.
(٥) سورة النمل / الآية ٣٧.
(٦) سورة هود / الآية ٢٩.

وعلى ذكر يوم القيامة نجد إخبار السحرة الذين امنوا بموسى عن حقيقة لا بأس فيها ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦ ﴾[١] وفي السياق نفسه يخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل النار وأمنيتهم العودة إلى الدنيا مرة أخرى فيقول عز من قائل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨ ﴾[٢] لكن الله سبحانه وتعالى هو العالم بالخفايا لم ينج فرعون إلا ببدنه فقط ليكون آية للناس تبقى على مر الاجيال ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢ ﴾[٣] وهو إنباء عن زمن بعيد تتواصل دلالته إلى قيام الساعة، إذ سيبقى الجسد شاهدا على قوة الله وعظمته وضعف الكافر وهوانه، وقد ثبت من فحص جثة فرعون وجود طين في حلقه مما يدل على انه مات غرقا.

ومن الانباءات التي تعطي دلالة مستمرة لزمن طويل ما نجدها في قصة السامري إذ حكم عليه أن يقول (لا مساس) فجاء الحكم علي لسان موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧ ﴾[٤]، فكان عقاب السامري عقابا بدنيا يتألم إذا مسه إنسان، فإذا لقي أحدا يقول له لا مساس خشية أن يلمسه، وفي الآية إخبار آخر لكنه قريب يعلن عن مصير الإله

(١) سورة طه / الآيات ٧٤ - ٧٦.
(٢) سورة الأنعام /الآيتان ٢٧ - ٢٨.
(٣) سورة يونس / الآية ٩٢.
(٤) سورة طه / الآية ٩٧.

الذي صنعه السامري (لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفا).

وفي زمن الرسول محمد صلى الله عليه ومسلم نجد قريش تراهن على جمعها وعددها، فاعتقدت واهمة أن هذا الجمع سيغني عنهم من أرادهم بسوء ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ ﴾[1] وهو إنباء استباقي تحقق بهزيمة المشركين في أول معركة حصلت بين المسلمين والمشركين في موقعة بدر الكبرى، وفضلا عن الهزيمة، هناك العقاب الذي ينتظرهم يوم القيامة (بل الساعة موعدهم).

ومن الجمع إلى الفرد يخبرنا القرآن عن مصير مشرك بحث في الكلمات ليجد وصفا للقرآن الكريم يسوغ تأثيرها في القلوب ويصد عن أتباعه، فيقول في وصفه أنه (سحر يؤثر) فتوعده الله بالعقاب فقال: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝ ﴾[2].

ومن الانباءات البعيدة إلى الانباءات القريبة فنجد قوم صالح وقد توعدهم الله بالعقاب وقال: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ ﴾[3] وقد توزعت الآية على ثلاثة انباءات قريبة وهي:

١ - وعيد الله لقوم صالح بالعذاب.

٢ - إرسال الناقة فتنة لهم.

٣ - تقسيم الماء بينهم.

لقد جاء الإنباء نتيجة حتمية لمخالفة قوم صالح أوامر الله الواردة في الانباءين الآخرين، وقد قدم الله الوعيد على الأوامر لعلمه بعد التزام القوم بها.

ولوط عليه السلام يعلن عن هجرته إلى الله فيقول ﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ

(١) سورة القمر الآيات ٤٤ - ٤٦.

(٢) سورة المدثر الآيات ٢٦ - ٢٨.

(٣) سورة القمر / الآيات ٢٧ - ٣٠.

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1] وهو إنباء قريب جاء بعد إيمانه بإبراهيم عليه السلام ثم توجها إلى مصر بعد ان فشت المجاعة في فلسطين وعادوا اليها ومعهما ماشية كثيرة حصلوا عليها من فرعون ثم افترقا بعد ذلك فذهب لوط إلى الأردن حيث مدينتي سدوم وعامورة[2].

وفي سورة (الحجر) حديث آخر عن قصة لوط عليه السلام بعدما كذبه قومه وارتكبوا أبشع الفواحش وراودوه عن ضيفه فجاء النصر من عند الله مسبوقا بإعلان عنه قبل حصوله ليأخذ لوط حذره فقال الله تعالى ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[3] وهو إعلان عن حدث سيقع في الصباح وقد تحقق هذا الإعلان وحل العذاب وجعل الله عالي القرية التي كان يعيش فيها لوط سافلها وأمطر عليهم في أثناء ذلك حجارة من طين متحجر تنهال عليهم متتابعة منتظمة تعذيبا من الله لهم[4].

وعيسى عليه السلام يأتي ببينات ينبئهم بها قبل تحقيقها ليتنبه إليه القوم وتحقق الغاية التي يصبو اليها لكي يؤمن قومه به ويتبعوه في عبادة الله سبحانه وتعالى فقال لهم ﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[5].

إن إعلان عيسى عن قيامه بهذه الأفعال يشكل إنباء قريبا سوف يتحقق بعد ذلك بزمن قصير، ليجد جمعا من الناس قد آمن به وجمعا آخر قد كذب وتستمر

---

(1) سورة العنكبوت/ الآية 26.

(2) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، 91 ؛ ينظر: مواقف الرسل والأنبياء من أقوامهم د. محمد جاسم حمادي المشهداني، 66، 67.

(3) سورة الحجر / الآية 66.

(4) مع الأنبياء في القرآن الكريم: 146.

(5) سورة آل عمران / الآية 49.

وتيرة السرد في التصاعد حتى تصل إلى اللحظة التي يتآمرون فيها على قتل عيسى عليه السلام فيخبره الله ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[١].

وقد اختلف المفسرون في (إني متوفيك ورافعك)، وقد عدّ منهم إلى الوفاة بالنوم فقط فيما رأى آخرون إن الآية فيها تقديم وتأخير وهي تعني (إني رافعك ومتوفيك)[٢] وهذا الرأي هو الأرجح، إذ إن واو العطف لا تفيد التعقيب مباشرة بل تفيد التشريك والجمع فجاز التقديم والتأخير، وقد تمثلت في هذه الآية انباءات ثلاثة:

١ - ﴿ وَرَافِعُكَ ﴾ وهو / إنباء قريب.

٢ - ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ / إنباء قريب.

٣ - ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ / إنباء بعيد

ومن الانباءات القريبة ما نجده في قصة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتي اخبرنا الله فقال ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[٣] **وفيها استباقان تجاوزا السرد المتنامي وقد تناميا تناميا طبيعيا ليقفزا إلى الأمام ويعلنا عن أحداث ستحصل قريبا وهذان الاستباقان هما:**

١ - فتح خيبر ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ **وقد حصل بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية.**

٢ - دخول المسجد الحرام وأداء العمرة ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ...﴾

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٥٥.

(٢) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، ٤٢٣.

(٣) سورة الفتح / الآية ٢٧.

وقد تحقق بعد عام من صلح الحديبية وقد أخلت قريش مكة للرسول صلى الله عليه وسلم بناء على اتفاق صلح الحديبية.

وفي قصة المخلفين من الأعراب الذين تخلفوا عن الالتحاق بجيش الرسول صلى الله عليه وسلم في إحدى غزواته فجاءوا بأعذار واهية لا تنم الا عن ضعف وجبن فأراد الله ان يكشف حقيقتهم للناس فقال لنبيه ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] فالاستدعاء لمقاتلة القوم شكل إنباء عن معركة قريبة ستحصل بين المسلمين والكفار وهذه المعركة ستحدد موقف المخلفين من الأعراب بين الطاعة والعصيان.

٢ - الطليعة

١ - ظهور شخصية لا تدخل في الأحداث إلا فيما بعد.

لعبت الطليعة دورا أساسيا في عدد من القصص القرآني وظهرت عدة شخصيا في بداية القصة ثم اختفت لتظهر من جديد في مراحل متقدمة من السرد. ومن هذه الشخصيات، شخصية بنيامين (اخو يوسف). فقد ظهرت في بداية القصة على لسان باقي اخوته ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[2] وبعدها تستمر القصة في سرد الأحداث التي يمر بها يوسف عليه السلام وتترك جانبا أخاه إلى أن تقترب من نهايتها، وإذا بالقارئ يفاجأ بشخصية بنيامين تدخل مجددا الأحداث بدور تعزيزي لشخصية يوسف يمهد لنهاية القصة. ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3] إن القارئ ليسال في بداية القصة ما الغاية التي ذكرت من اجلها شخصية بنيامين؟ ثم يبدأ برسم تطلعات تجسم الدور الذي ستقوم

---

(١) سورة الفتح / الآية ١٦.

(٢) سورة يوسف/ الآية ٨.

(٣) سورة يوسف / الآية ٥٩.

به في القصة والتأثير الذي ستفرضه في مسرح الأحداث، وفي لحظة تكاد تنسى فيها تلك الشخصية يفاجأ بها من جديد وقد تصدرت الأحداث، وإذا كانت شخصية يوسف عليه السلام قد أدت دور البطولة في القصة من خلال المحن التي واجهها وتغلب عليها، فإن شخصية بنيامين قد شكلت انتصارا ليوسف ومحن كبيرة ليعقوب عليه السلام وأبنائه قد رسمت هذه المحنة صورتين شكلتا محورا مهما في القصة هما:

١ - الحرج الذي وقع فيه إخوة يوسف بعدما طلب منهم إحضار بنيامين، وهذا الحرج تمثل في الكيفية التي سيقنعون بها أباهم وهم الذين فرطوا في يوسف من قبل.. ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] والمحنة التي وقع فيها يعقوب تمثلت في خشية فقدان بنيامين كما فقد يوسف من قبل. ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2].

٢ - تشكلت الصورة الثانية من المفاجأة التي لم يتوقعها اخوة يوسف وهي ان يسرق بنيامين صواع الملك، بعد ما وقعوا في مكيدة دبرها لهم يوسف مما زاد في حراجة موقفهم، فماذا سيقولون لأبيهم؟ وهل سيصدقهم؟ لقد عبر عن هذا الموقف كبيرهم فقال لإخوته ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[3].

ومن الطبيعي ان يكون وقع الصدمة على يعقوب كبيرا مما جعل الحزن يغمره ويتذكر مصيبته بيوسف فتولى عن أبنائه ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ

---

(١) سورة يوسف / الآية ٦٣.
(٢) سورة يوسف / الآية٦٤.
(٣) سورة يوسف / الآية٨٠.

عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[(١)]. فإن ظهور شخصية بنيامين في القصة كما ذكرنا كان معززا لشخصية يوسف وشكل انتصارا له ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[(٢)].

ومن خلال رجوع إخوة يوسف إليه والتذلل له في أن يعفو عن بنيامين، يكشف يوسف عن شخصيته ويعلن انتصاره عليهم، وقد اعترف إخوته بخطئهم وقالوا ليوسف ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[(٣)].

٢ - الوصف الوظيفي: - عصا موسى

جاء موسى عليه السلام إلى الوادي المقدس طوى يقتبس نارا ويبحث عن هدى يرشده إلى الطريق الصحيح، وإذا بنداء يعتمر أسماعه ويعتلي خفقة فؤاده ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾[(٤)].

وتسير الأحداث بطيئة صعبة على موسى، ويتسارع السرد فما سيلقاه موسى أمر عظيم، وأمام هذه الرهبة أراد الله ان يخفف عن موسى فسأله؟

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ وقد قال عدد من المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له وقيل، وإنما قال له ذلك على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها[(٥)].

وأيا كان الغرض من السؤال فقد أعطى إشارة استباقية إلى ادوار عديدة

---

(١) سورة يوسف / الآية٨٤.

(٢) سورة يوسف / الآية ٧٦.

(٣) سورة يوسف / الآية ٩١.

(٤) سورة طه / الآيتان ١٢ - ١٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٤٥/٣.

ستقوم بها العصا وسيكون لها مواقف إنقاذ كثيرة فهي:

أولا: شكلت اطمئنانا لموسى الذي اخذ يعدد صفاتها استئناسا بكلامه مع الله سبحانه وتعالى، وكان يكفي أن يقول هي عصاي لكنه زاد في الجواب لأن المقام مقام مباسطة وقد كان ربه يكلمه بلا واسطة، فأراد أن يزيد في الجواب ليزداد تلذذا بالخطاب[١]".

ثانيا: وكانت معجزة موسى أمام فرعون وملئه ودليلا على نبوته وعلى الرغم من انها كانت بينة وواضحة إلا أن فرعون كذب بها وعد الأمر لا يخلو من كونه سحرا فقال لموسى ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[٢].

ثالثا: وكانت انتصارا لموسى على السحرة إذ إن ما جاء به ليس سحرا وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣]

رابعا: واتخذت في نفسها دورا مهما في إنقاذ موسى وقومه عندما أدركهم فرعون بجنوده وظن بنو إسرائيل أنهم مدركون ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾[٤].

خامسا: ثم يجعل الله للعصا وظيفة أخرى بعدما استسقى القوم موسى عليه السلام ﴿ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[٥].

لقد مثلت العصا طليعة استباقية جعلت القارئ يشعر بأهميتها ويبني عليها توقعاته التي تتمحور جميعا في الدور الذي ستؤديه العصا في قصة موسى بعدما مثلت مرتكزا مهما في الحوار الذي جرى بين الله سبحانه وتعالى وموسى.

---

(١) صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني: ٢٣٢/٢.

(٢) سورة طه / الآية ٥٧.

(٣) سورة طه / الآية ٦٩.

(٤) سورة الشعراء / الآية ٦٣.

(٥) سورة الأعراف / الآية ١٦٠.

ونجد الوصف الوظيفي الممهد للأحداث في قصة صاحب الجنتين، فقد بدأ السرد بوصف تمهيدي لكان الحدث شكل استباقا أغنى عن سؤال كان سيسأله القارئ إذ إننا نجد من الوصف أن تلك الجنتين أفقدتا صاحبهما صوابه فراح لشدة مباهاته وتعجبه بما لديه، يكفر بالله سبحانه﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

لقد مهد هذا الوصف لأحداث ستقع بعد ما أعطى إشارة للقارئ يستبق بها الأحداث ويرسم في مخيلته شكل الصراع الذي سيدور في القصة، فيجئ السرد بعد ذلك محققا لتلك الطلائع ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

إن القارئ وهو يقرأ وصف الجنتين اللتين ابتدأ بهما السرد لا يتوقع طغيان صاحبهما فحسب وإنما سيعطي توقعا آخر للمصير الذي ستؤول إليه الجنتان وهذا هو ديدن الحياة يتمثل في النهاية الحتمية لكل باغ متجبر: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

(١) سورة الكهف / الآيات (٣٢ - ٣٤).

(٢) سورة الكهف / الآيات ٣٥، ٣٦.

(٣) سورة الكهف / الآية ٤٢.

المبحث الرابع

المفارقة المعقدة[1]

وهي مفارقة من الدرجة الثانية تربك أفكارنا المطمئنة عن الاستعادة والاستشراف وهذا ما يستدعي وجود مقاطع سردية غير محددة زمنيا ولا يمكن تحديد موقعها من الأحداث التي تحيط بها، وهي لا ترتبط بحدث آخر بل بخطاب تعليقي (غير زمني). وتتقسم المفارقة المعقدة على ثلاثة أقسام هي:

١- الاسترجاع المفتوح: وهو استرجاع يستمر حتى آخر سطر في الرواية، أي انه استعادة أكثر من كاملة تحول خفية إلى استباق من نقطة غير محددة من مسيرتها.

٢- الاسترجاع الاستباقي: وهو تذكر استعادي استشرافي للمستقبل، كأن يتذكر البطل أحلام يقظته، فحلم اليقظة استباقي، وتذكره استرجاعي، وتتألف الحركتان لتلغي إحداهما الأخرى.

٣- الاستباق الاسترجاعي: وهو استشراف في زمن القصة يحيل إلى حدث سبق للحكاية ان غطته.

ولكي نفرق بين الاسترجاع الاستباقي والاستباق الاسترجاعي نلاحظ العبارتين الآتيتين:

أ. كان قد سبق ان حدث كما سنرى فينا بعد / استرجاع استباقي.

ب. كان لا بد من ان يحدث فيما بعد كما سبق ان رأينا / استباق استرجاعي.

وهذه الاستباقات الاسترجاعية والاسترجاعات الاستباقية تجعل اتجاه السير مهمة صعبة إذ إن الوراء يصير أماما والمقدمة مؤخرة.

---

(١) خطاب الحكاية: جيرار جينيت: ٨٦ - ٩٢.

الاسترجاع المفتوح

تميزت مجموعة من القصص القرآنية بوجود هذا النوع من الاسترجاع فيها، فقصة آدم عليه السلام في سورة طه جاءت على شكل استرجاع مفتوح، إذ بدأت القصة بعرض إجمالي مختصر ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[1] ثم تأتي الآيات بعد ذلك على شكل استرجاع يفصل القصة وينتهي بنهاية مفتوحة على شكل استباق يمثل حشر الإنسان (الذي ينسى عهده مع الله) أعمى، فيقول ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ ﴾[2].

وقد جاءت هذه القصة في مقام معاتبة الإنسان وتوعده ان نسي عهده مع الله وهذا ما نجده واضحا في الآية التي سبقت القصة ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[3] وكأنه قال ان طاعة بني آدم الشيطان وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم، فانا قد عهدنا إلى آدم من قبل هولاء الذين صرفنا لهم الوعيد، وبالغنا في تنبيهه ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[4] ثم بعد ذلك نسي وترك العهد، فأمر البشر في ترك التحفظ من الشيطان أمر قديم[5].

وبناء الأحداث في القصة آدم جاء على شكل الآتي:

١. ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ﴾ بداية القصة.

٢. ﴿ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ نهاية القصة.

٣. ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ استرجاع سابق لبداية القصة.

٤. ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ ﴾ استباق.

---

(١) سورة طه / الآية ١١٥. (٢) سورة طه / الآيتان (١٢٥ - ١٢٦).

(٣) سورة طه / من الآية ١١٣.

(٤) سورة طه / من الآية ١١٧.

(٥) التفسير الكبير: ٢٢، ١٢٣.

٥. ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ استباق.

٦. ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ استباق.

٧.﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾.

٨. ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٩. ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. استباق.

١٠. ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ استباق.

١١. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ استباق.

١٢. ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ استباق.

١٣. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ استرجاع.

١٤. ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾ استرجاع.

١٥. ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ استباق.

لقد سارت الأحداث في قصة آدم في خط عام انقسم على قسمين:

الأول: تمثل في وجود آدم في الجنة وهو خط استرجاعي وبدايته في ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ...﴾ ويعود هذا الاسترجاع إلى بداية السرد ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ ﴾، ويستمر إلى أمر الهبوط من الجنة ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا ...﴾ حيث النهاية المفتوحة التي تبدأ بقصة أخرى هي قصة الإنسان في يوم القيامة وهو يمثل القسم الثاني من الأحداث التي تبدأ باستباقات متعددة تنتهي بـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ...﴾، وقد تخللت الخطين استباقات واسترجاعات متنوعة تمثلت في الصيغ الآتية:

١. الخط الأول، الاسترجاعي وتمثلت الاستباقات فيه من خلال طهه١١٧ (لا يخرجنكما، فتشقى، لا تجوع، لا تعرى، لا تظمأ، لا تضحى، هل أدلك، ملك لا يبلى). وهي صيغ تدل على أحداث استباقية.

٢. الخط الثاني /الاستباقي وتمثلت الاسترجاعات فيه من خلال (لما حشرتني، وقد كنت، أتتك، نسيتها). وهي صيغ تدل على أحداث استرجاعية.

وهكذا نجد ان النهاية المفتوحة في قصة آدم جعلت أحداث القصة تستمر إلى نهاية الحياة الدنيوية وفتحت بصيرة القارئ على حالة الإنسان يوم القيام فهو اما ان يكون مهتديا يعيش حياة لا شقاء فيها وإما معرضا يحشر أعمى وله معيشة ضنكا، والربط بين الأحداث كلها هو نسيان عهد الله تعالى.

كما تنوعت الأحداث التي فيها (باسترجاعها واستباقها) وبنهاياتها المفتوحة أربكت أفكارنا عن الاستعادة والاستشراف وجعلت الاسترجاع يستمر إلى آخر آية من القصة دون ان نجد تحديدا واضحا لموقفه من الأحداث التي تحيط به.

وفي قصة نوح عليه السلام، ألف عام إلا قليلا يدعو نوح قومه تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾(١) وألف عام من الاستكبار والعناد مثلت رد قومه على دعوته، حتى وصل الأمر إذا ما اقتربت منية احدهم يوصي ابنه بان لا يؤمنوا أبدا بنوح ودعوته، وقد جاءت سورة نوح باسترجاعات طويلة استمرت إلى نهايتها لتعبر عن الضيق الذي ألم بنوح ويأسه من هداية قومه على الرغم من الأساليب العديدة التي استخدمها في سبيل إقناعهم. إلى أن تصل به ذروة الياس والحزن ان يدعو على قومه بالهلاك ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ ﴾(٢) وهو دعاء يستبق الأحداث لكنه في الوقت ذاته جعل نهاية القصة مفتوحة، فالهلاك الذي سيصيب قومه سيكون بداية لهلاك كل قوم يكفرون بالله وبدعوة أنبيائه.

ونظرة إلى الاسترجاعات في القصة نجدها تمثل استرجاعا مفتوحا بدأ مع الآية﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ ﴾(٣) ويستمر إلى نهاية السورة، ﴿ فَلَمْ

(١) سورة نوح / الآية ١.
(٢) سورة نوح / الآيتان ٢٦ – ٢٧.
(٣) سورة نوح / الآية ٥.

يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ ﴾[1]. **وقد تخللت هذه الاسترجاعات عدد من الاستباقات دلت عليها الصيغ الاستباقية الآتية (استغفروا، يرسل، يمددكم، يجعل لكم جنات، يجعل لكم انهارا، يعيدكم، يخرجكم، لتسلكوا، لا تذرن آلهتكم، لا تذر، إن تذرهم، يضلوا، ولا يلدوا، رب اغفر لي ولو والدي، ولمن بيتي مؤمنا).**

ان سعة الاسترجاع الطويلة في هذه القصة وتنوع أحداثها شكل منها استرجاعا مفتوحا. وشاهد آخر على الاسترجاع المفتوح نجده في قصة الجن، وهو المخلوق الثاني الذي عمر الأرض إلى جانب الإنسان، وقد اختلفت فيه (فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، غير أن جمهور أرباب المال والمصدقين للأنبياء اعترفوا بوجود الجن، وأصحاب الروحيات اعترفوا بهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع إجابة إلا أنها اضعف، أما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى[2].

وقد أكدت هذه القصة حقيقة وجود الجن وبدأت بان استمع نفر من الجن رسول الله محمد ﷺ وهو يتلو القرآن، فأسرعوا إلى قومهم يخبرونهم بما سمعوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ ﴾[3] **وقد مثل هذا الإخبار استرجاعا داخليا للقصة بعد ذلك إلى أحداث ماضية تسبق بداية السرد وتستمر إلى النهاية لتشكل استرجاعا مفتوحا بعدما تخللته**

(١) سورة نوح / الآيات ٦، ١٢.

(٢) التفسير الكبير: ٣٠، ١٥٣.

(٣) سورة الجن / الآية ١ - ٢.

مجموعة من الاستباقات. وقد أوضحت هذه القصة ما يأتي[1]:

١. إن الرسول محمد ﷺ بعث للجن وللإنس.

٢. إن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول.

٣. إن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا.

٤. إن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان.

ونجد في قصة الجن استرجاعات والاستباقات الآتية[2]:

١. ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾. **استرجاع داخلي.**

٢. ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ **استرجاع.**

٣. ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ **استرجاع استباقي.**

٤. ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ **استرجاع.**

٥. ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ **استرجاع استباقي.**

٦. ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ **استرجاع.**

٧. ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ **استرجاع.**

٨. ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾. **استباق.**

٩ ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾. **استرجاع**

١٠ ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. **استرجاع.**

١١. ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ **استباق.**

---

(١) التفسير الكبير: ٣٠، ١٥٣.

(٢) سورة الجن / الآيات ٣ – ١٧.

١٢.﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾. استرجاع.

١٣. ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾استباق.

١٤. ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ استرجاع.

١٥. ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ استرجاع.

١٦. ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ استباق.

١٧. ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ استباق.

لقد مثلت هذه الأحداث الاستعادية التي استمرت إلى نهاية القصة مع عدد من الأحداث الاستشرافية الموجودة فيها استرجاعا مفتوحا بلغت سعته سبع عشرة آية.

إن من سمات هذا الاسترجاع انه يعطي معلومات كاملة عن القصة وتصورا واضحا يحيط بكل أحداثها سواء كانت الاستعادية منها ام الاستشرافية، ومن خلال نهايته المفتوحة، التي قد تتحول خفية إلى استباق في أية لحظة من لحظاتها، القصة غير منتهية وتزيد من قابليتها على الاستمرار وهذا ما وجدنا في القصص الثلاث (آدم، نوح، الجن)، كما أن هذا التنوع في الاسترجاع المفتوح مفارقة معقدة يصعب تحديد مواقعها من الأحداث التي تحيط بها.

الاسترجاع الاستباقي

احد أنواع المفارقة المعقدة، يتمثل في استعادة لاستشراف حدث ما. ونجد المفارقة في قصة إبراهيم عليه السلام عندما يدعو ربه ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

إسكان الذرية يدل على حدث ماضي، وإقامة الصلاة حدث استشرافي وقد

(١) سورة إبراهيم / الآية ٣٧.

تآلف الحدثان وشكلا معا مفارقة معقدة ألغت انفرادية احداهما عن الآخر، فالغرض من إسكان الذرية بذلك المكان هو إقامة الصلاة، والحدثان يصعب تحقيقهما الا من خلال وجود حياة طبيعية تسهل إقامة هاجر وإسماعيل في تلك البقعة، لذا دعا إبراهيم ربه (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) وكان ان استجاب الله لدعاء إبراهيم وسكنت قبيلة جرهم العربية بعدما طلبوا الإذن من هاجر بالإقامة في تلك البقعة بعدما ظهر الماء ونبت الزرع فيها[١].

وفي قصة يوسف عليه السلام نجد الآية ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[٢] وقد ضمنت استرجاعا استباقيا تمثل في هيام يوسف عليه السلام الذي كاد يحصل لولا ان رأى برهان ربه وهو يختلف عن هيام امرأة العزيز كونه غير حاصل وهيامها حاصل بدليل وجود (لولا) وهو حرف امتناع لوجود، كان نقول مثلا لولا المطر لهلك الزرع فهلاك الزرع لم يحصل لوجود المطر وهكذا في قصة يوسف إذ لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وقد تآلف الحدثان (الهيام، رؤية البرهان) ليشكلا مفارقة معقدة اندمجت فيها الاستعادة مع الاستشراف مما صعب تحديد مواقع الأحداث فيها وهذا ما سماه جنيت (بالاتجاه اللا وعي)[٣] وهذا المخطط يوضح ذلك:

وموسى عليه السلام إذ يدعو ربه ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[٤]. نجد في هذا الدعاء استرجاعا استباقيا تمثل في الحدثين الأول إعطاء فرعون وملئه زينة وأموالا وهو حدث استرجاعي والثاني حدث الضلالة وهو استباقي، ونجد تآلف الحدثين واضحا في السبب والمسبب فإعطاء المال والزينة يقود إلى الضلالة لذا جاء دعاء موسى (ربنا اطمس

(١) قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار / ١٠٥.

(٢) سورة يوسف / الآية ٢٤.

(٣) خطاب الحكاية / ٨٦.

(٤) سورة يونس / الآيتان ٨٨.

على أموالهم...)[١] لتجريدهم من هذه النعمة المسببة للضلالة، وبذلك تكون العقوبة شديدة عليهم، وقد استجاب الله لدعاء موسى وعاقب فرعون وقومه بالجدب والقحط ونقص من ثمرات الزرع والأشجار رجاء ان ينتبهوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم أمام الله فيعطوا ويستجيبوا لدعوة موسى لكن طبيعتهم تأبى ذلك، يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾[٢].

وفي قصة يونس عليه السلام ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٣] نجد فيه حدثين الأول (كان من المسبحين) وهو حدث استرجاعي، و(للبث في بطنه)وهو حدث استباقي وقد اندمج الحدثان ليشكلا استرجاعا استباقيا سعته آية واحدة.

لقد كان يونس كثير الصلاة في الرخاء فأنجاه الله في الشدة اما نسيان الله في حال الرخاء والإعراض عن هديه فإن ذلك يكون سببا في عدم استجابة الله له عند الشدة، ولهذا ذكر القرآن عن فرعون عندما أدركه الغرق ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾، ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[٤].

ولولا ان كان يونس من المسبحين في الرخاء لما أفاد استغفاره في بطن الحوت ولكان أصابه ما قد أصاب فرعون من قبل[٥].

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم / ٢٣٧.

(٢) سورة الأعراف / الآيتان ١٣٠ - ١٣١.

(٣) سورة الصافات / الآيتان ١٤٣ - ١٤٤.

(٤) سورة يونس / الآية ٩٠ ، ٩١.

(٥) مع الأنبياء في القرآن الكريم / ٣٠٩.

الاستباق الاسترجاعي

(كان ان يحدث فيما بعد كما سبق ان رأينا)، هذه العبارة المشهورة للاستباق الاسترجاعي وهو استشراف يحيل إلى أحداث ماضية.

في القصة القرآنية نجد في قصة يوسف عليه السلام عندما رد يعقوب على أبنائه قَالَ ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] استباقا استرجاعيا نشأ من حدثين الأول استباقي تمثل في (هل آمنكم عليه) والثاني استرجاعي (كما أمنتكم على أخيه) وقد تآلف الحدثان ليلغي احدهما زمن الآخر وليكوّنا مقطعا سرديا غير محدد زمنيا.

وكان أبناء يعقوب قد طلبوا من أبيهم ان يرسل أخاهم بنيامين تلبية لرغبة وزير الملك مقابل إعطائهم المؤن والطعام، فثارت في نفس يعقوب ذكريات الماضي فأجابهم والحسرة تأكل قلبه: هل يكون ائتمانكم على بنيامين كائتمانكم على أخيه يوسف من قبل وعدم وفائكم بما تعهدتم به فالله حسبي في حماية ابني فهو أقوى حافظا وهو ارحم الراحمين[2].

وفي قصة موسى عليه السلام نجد فيها مجموعة من الاستباقات الاسترجاعية ومنها:

في سورة القصص ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[3]. نجد في هذه الآية استباقا استرجاعيا مكونا من حدثين الأول استباقي في (أتريد ان تقتلني) والثاني استرجاعي (كما قتلت نفسا بالأمس) وقد تشكلت بينهما علاقة واحدة ضمنت الاثنين معا، فالإسرائيلي الذي استنصر موسى عليه السلام لقتال القبطي خاف على نفسه بعدما وبخه موسى على أفعاله وظن ان موسى سيقتله لخوره

---

(١) سورة يوسف / الآية ٦٤.

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم / ٣٠٩.

(٣) سورة القصص / الآية ١٩.

وضعفه وذلته فقال يدفع عن نفسه (يا موسى) أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا في الأمس، وكان هذا الأمر لا يعلم به غيرهما.

وفي موضع آخر من سورة القصص وبعدما سقى موسى للفتاتين جاءته إحداهما وقالت ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[1]، ان الجزاء حدث استشرافي في المستقبل والسقي حدث استعادي لماضي وقد ارتبط الجزاء بالعمل الذي قام به موسى، فشكل بذلك استباقا استرجاعيا مهد لأمور كثيرة، منها:

١ - انه أمن لموسى حياته بعد هربه من قوم فرعون.

٢ - مهد لزواج موسى من إحدى ابنتي شعيب.

٣ - وفر العمل لموسى لمدة (ثمان او عشر) سنوات.

٤ - كما أوضحت هذه الآية الأخلاق العالية التي يتصف بها أنبياء الله، فشعيب أبى الا ان يقدم لموسى اجر ما سقى لهم، مع أن موسى عليه السلام لم يطلب ذلك.

وفي قصة مريم ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ ﴾[2] نجد في الآية استباقا استرجاعيا تشكل من حدثين، الأول استباقي (أنى يكون) والثاني استرجاعي(لم يمسسني، ولم أك) ومعنى الآية كيف سيكون لها ولد ولم يمسسها احد من البشر، إذ ان قانون الطبيعة يقضي بان التكاثر لا يتم الا عن طريق الرجل والمرأة معا، لكن الله تعالى أراد ان يكون عيسى وأمه آيتين للناس ودليلا على عظمته، فأوقفت الطبيعة قانونها تلبية لأمر الله الذي إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون.

ولم يكن هذا الأمر بالهيّن على مريم فجاءت عبارتها تحمل معاني التعجب والخوف معا، فالتعجب من الأمر العظيم الذي سيحصل، والخوف من شك الناس بها وهي البريئة الطاهرة، لكنها ما ان علمت ان هذا أمر الله، حتى سلمت أمرها لله آمنة مطمئنة.

(١) سورة القصص / الآية ٢٥.

(٢) سورة مريم / الآية ٢٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لكل بداية نهاية وجعل خير الأعمال خواتيمها، فله الشكر في الأولى والآخرة وبعد..

فإن النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا للبنية الزمنية في القصة القرآنية:

- من حيث الأبنية الزمنية التي توزعت عليها القصة القرآنية وانقسمت على ستة أبنية (المتتابع، المتداخل، المتوازي، المكرر، التضمين، الدائري) اتسمت بالسمات الآتية:

١ - كان البناء المتتابع هو السائد في إطار القصة العام، وغالبا ما تبدأ القصة بان يرسل الله سبحانه وتعالى رسله إلى أقوامهم المشركين بالله، فيدعوهم إلى ترك الشرك وعبادة الله وحده، ثم يواجه هؤلاء الرسل بعصيان أقوامهم وعنادهم، وتنتهي القصة بوقع العذاب على الكافرين وينتصر الله لرسله أجمعين.

٢ - أما متن القصة فيشهد تداخلا واضحا في أحداثه، إذ تتوزع بين الاسترجاعات والاستباقات، لذا فقد كان البناء المتداخل سمة بارزة فيه.

٣ - اما البناء المتوازي والتضمين فقد جاء لعلاقة تربط الأحداث فيها بينها، غير ان الأحداث المتوازية جاءت في الوقت واحد مع اختلاف المكان فيما جاءت القصص المتضمنة لقصص أخرى في أوقات مختلفة ولا يشترط فيها اختلاف المكان.

٤ - وجاء البناء المكرر ليؤكد على حالة ما مثلت غرضا رئيسا في القصة كما جاء في إجمال ما فصل او تفصيل ما أجمل.

٥ - وتميز البناء الدائري في القصة القرآنية بتقديمه الغرض الرئيسي فيها على السبب الذي حصلت بموجبه الأحداث، فيما جاء السبب ليزيل الغموض عن الأحداث التي حصلت.

٦ - وبصورة عامة فقد كثر الاسترجاع والاستباق في البناء المتداخل

والمكرر والدائري وبنسبة اقل المتوازي والتضمين.

- واتسمت الاسترجاعات الخارجية في القصة القرآنية بالسمات الآتية:

١ - جاءت اغلبها للتذكير بماضي الأمم السابقة، وقد تصدرتها عبارات (واذكروا، وجدنا، آباءنا، ما يعبد آباؤنا، مثل يوم الأحزاب، فقد كذب أمم من قبلكم..) ٢ - وجاء بعضها لتذكير الإنسان بخلق الكون والتبصير به.

٣ - التذكير بماضي الشخصيات البسيطة في القصة كما في قصة موسى عليه السلام.

٤ - ومن منظور مدى الاسترجاع فقد قربت الاسترجاعات الخارجية او غلبت عليها صفة البعيدة جدا، وان جاءت في أحيان قليلة قريبة.

٥ - كانت سعة هذه الاسترجاعات في اغلب الأحيان قصيرة تمثلت في آية او اثنين.

٦ - سعت هذه الاسترجاعات إلى تحقيق عددا من الأغراض كالتعريف بحياة الأمم او حياة إحدى الشخصيات.

- وتميزت الاسترجاعات الداخلية بما يأتي:

١ - ان معظم هذه الاسترجاعات جاءت عن طريق رواية شخصية من شخصيات القصة ما حصل في ماض لاحق لبداية السرد، او عن رؤيا منام.

٢ - كان مدى الاسترجاع الداخلي في معظمه قريبا على عكس من الاسترجاع الخارجي، أما سعته فهي اكبر من الاسترجاع الخارجي.

٣ - جاء الاسترجاع التكراري في معظمه تفسيرا، إذ تشرح إحدى الشخصيات ما جرى في الماضي، وقسم منه جاء ليؤكد حدثا ما حصل في الماضي.

٤ - استعان الاسترجاع الداخلي في القصة القرآنية بعدد من المعينات الزمنية المتمثلة بظروف الزمان (أصبح، أمسى).

- اما الاسترجاع المزجي فقد انفرد بالمميزات الآتية:

١ - أفاد في عقد مقارنة بين حدث سابق لبداية السرد وحدث لاحق.

٢ - أعطى الاسترجاع المزجي في القصة القرآنية معلومات للقارئ لم

يستطع الاسترجاعان (الداخلي والخارجي) في إعطاءه على انفراد.

٣ - نجد في الاسترجاع المزجي حالة حصلت في الماضي السابق لبداية السرد، وجاء الاسترجاع الداخلي ليؤكدها مما شكل تواصلا بين زمنين ماض بعيد وماض قريب.

٤ - انقسم المدى في الاسترجاع المزجي بين بعيد وقريب.

٥ - جاءت سعة الاسترجاع المزجي في بعض القصص قصيرة كما في قصة آدم وفي بعضها الآخر طويلة كما في قصة أصحاب الكهف.

- اما الاستباق في القصة القرآنية فقد توزعت أغراضه ومميزاته بحسب نوعه فمدى الاستباق انقسم على الداخلي والخارجي، فالاستباق الخارجي شكل عدة صور منها ما جاء تمهيدا للأحداث ومنها ما جاء إنباء يحمل أخبارا عامة، فيما جاءت الصور الأخرى على شكل الوعود والوعيد والتحذير والتبشير والدعاء والوصية.

- فيما جاءت الاستباقات الداخلية تحمل الصفات نفسها التي تحملها الاسترجاعات الداخلية ومنها:

١ - أعطت الاستباقات الداخلية معلومات متممة عن أحداث ستحصل لكن السرد لا يذكرها وقت حصولها كما في الاستباقات التكميلية.

٢ - اما الاستباقات التكرارية فنجد فيها عدد من الانباءات العامة عن أحداث ستحصل دون أن تؤثر في الأحداث.

٣ - جاءت اغلب الاستباقات الداخلية ممهدة لأحداث ستحصل في المستقبل القريب.

٤ - مدى الاستباق الداخلي قريب اما سعته فهي اكبر من سعة الاستباق الخارجي.

٥ - فسرت الاستباقات الداخلية أحداثا مهمة في القصة القرآنية قبل وقوعها.

- اما سعة الاستباق في القصة القرآنية، فقد تميزت بالمميزات الآتية:

١ - انقسمت السعة عن طريق نسب تقديمها إلى الأمام ومساحتها في

القصة القرآنية إلى استباقات كاملة وأخرى جزئية.

٢ - شكلت الاستباقات الكاملة خلاصة استباقية وضعت القارئ أمام صورة متكاملة لما سيحدث في المستقبل.

٣ - وشكلت أيضا أحداثا استباقية بعيدة وذات سعة كبيرة مثلت محاور القصة كلها، فيما شكلت الاستباقات الجزئية أحداثا فرعية قريبة وذات سعة قصيرة لا تتجاوز حدثا او حدثين.

٤ - وجدنا في الاستباقات الكاملة في القصة القرآنية ان التشويق يتحول من التطلع إلى النهايات المجهولة إلى التركيز على الأحداث التفصيلية في القصة والى الكيفية التي تقودنا للوصول إلى النهاية. اما الاستباقات الجزئية في القصة القرآنية، فقد جعلت القارئ ينظر بفكره إلى النهايات من خلال التوقع الذي يرسمه بالاعتماد على ما توفره له الاستباقات الجزئية من المعلومات.

- وامتازت وظيفة الاستباقات بما يأتي:

١ - كثرة الإعلانات فيها، كما انها ضمت عددا من الطلائع الاستباقية لكن بصورة اقل من الإعلانات.

٢ - تراوحت الإعلانات في القصة القرآنية بين انباءات بعيدة وقريبة، وهي أخبار عامة عن أحداث ستحصل لاحقا لا تترتب عليها أحداث أخرى. وتمهيدات مهدت لأحداث ستحصل وتترب عليها أحداث أخرى.

٣ - شكلت الطلائع علامات استباقية جعلت القارئ يخرج بتوقعاته عن أحداث ستحصل، ويرسم في ذهنه مستقبل الأحداث.

٤ - أعطى الوصف الوظيفي وهو احد أوجه الطليعة الاستباقية صورة ممهدة للقارئ لأحداث ستحصل لاحقا وتحتاج إلى جواب لسؤال كان سيسأله القارئ، كيف ولماذا حدثت؟

- أما المفارقة المعقدة في القصة القرآنية فقد امتازت بمزايا عديدة منها:

١ - جاءت الاسترجاعات المفتوحة لتجعل أحداث القصة تستمر إلى نهاية الأحداث، وقد تمثل نهاية الحياة الدنيوية وتفتح بصيرة القارئ على الحياة الأخروية، كما نجد ذلك في قصة آدم عليه السلام.

٢ - أعطى الاسترجاع المفتوح معلومات كاملة عن القصة التي تحتويه، فهو يحيط بكل أحداثها سواء كانت الاستعادية منها ام الاستشرافية من خلال النهاية المفتوحة والتي قد تتحول خفية إلى استباق في أية لحظة من لحظاتها مما يجعل أحداث القصة غير منتهية، وتزيد من قابليتها على الاستمرار وهذا ما وجدناه في القصص الثلاث (آدم، نوح، الجن).

٣ - أما في الاسترجاع الاستباقي في القصة القرآنية فنجد ان الحدث في الماضي يندمج مع المستقبل في علاقة سببية بين السبب والمسبب، كما نجد ذلك في قصتي إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٤ - ونجد في الاستباق الاسترجاعي في القصة القرآنية هاجس الخوف من المستقبل يصاحب الشخصية لرئيسية في القصة بعد ماض يدعم الخوف ويؤكده كما في قصتي يوسف وموسى عليهما السلام، او بعد ماض ينفيه كما في قصة مريم عليها السلام.

المصادر والمراجع

١ - أركان القصة أ. م. فوستر، ترجمة كمال عياد جاد، مراجعة حسن محمود، سلسلة الألف كتاب، إدارة الثقافة العامة، وزارة التربية والتعليم، دار الكرنك للنشر والتوزيع والطبع، مطبعة الوحدة، الفجالة، ١٩٦٠.

٢ - الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٩٨٠.

٣ - إعجاز القرآن، في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى، ١٦٦٤.

٤ - انفتاح النص الروائي، النص والسياق، سعيد يقطين، منشورات المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

٥ - الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، د. موريس أبو ناصر، دار النهار للنشر بيروت، ١٩٧٩.

٦ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط - ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.

٧ - بناء الرواية، ادوين موير، ترجمة إبراهيم الصيرفي، مرجعة د. عبد القادر القط، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، دار الجيل للطباعة، مصر، ١٩٦٥ م.

٨ - بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ١٩٨٤ م.

٩ - بناء الشخصية الرئيسية في الروايات نجيب محفوظ، د. بدري عثمان، دار الحداثة - لبنان، ١٩٨٦ م.

١٠ - البناء الفني للرواية العربية في العراق (بناء السرد)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤ م.

١١ - البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظام السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة ط ١، بغداد، ١٩٨٨ م.

١٢ - بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

١٣ - بنية النص السردي من منظور النقد العربي، حميد الحمداني، المركز الثقافي، بيروت - لبنان، الدار البيضاء - المغرب، ط ٢، ١٩٩٣م.

١٤ - تاريخ اللغات السامية: أ. ولنفستون (أبو ذؤيب)، ط ١، دار القلم بيروت - لبنان ١٩٨٠ م.

١٥ - تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٨٩م.

١٦ - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

١٧ - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

١٨ - تيار الوعي في الروية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: د. محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

١٩ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت - لبنان، ط ٢.

٢٠ - جمهرة اللغة، محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، بيروت، دار صادر ط ١، ١٣٤٥هـ.

٢١ - حدس اللحظة، غاستون باشلار، رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٢٢ - الخبرة الجمالية (دراسة في الفلسفة الجمال الظاهرية)، سعيد توفيق المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٢م.

٢٣ - خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الازدي، عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط ٢، ١٩٩٧م.

٢٤ - الخلاف بين التوراة والقرآن، محمد على حسن، مطبعة بابل، السعدون - بغداد ط٢، ١٩٨٩م.

٢٥ - دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: د. احمد جمال العمري، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

٢٦ - الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم: د. حسام الالوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٧ - الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة: د. سعد عبد العزيز، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٨ - الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م.

٢٩ - الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: د. اسعد رزوق، مراجعة: العوضي الوكيل، مطابع سجل القاهرة، ١٢٧٢م.

٣٠ - الزمن والرواية، أ. أ مندلاو، ترجمة: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، ط ١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.

٣١ - السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، د. عبد الله إبراهيم الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٣٢ - سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٤م.

٣٣ - الشعرية، تزفيطان تودوروف، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، ط ١، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩٧م.

٣٤ - الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجهري (ت٣٩٣هـ) تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٣، بيروت

١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٣٥ - صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م.
٣٦ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ط ٢، بيروت - لبنان ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٣٧ - صنعة الرواية، بيرس لوبوك، ترجمة: عبد الستار جواد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
٣٨ - الصيغ الزمنية في اللغة العربية، د. مالك المطلبي، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، ١٩٨٦م.
٣٩ - عالم الرواية، رولان بوزوتوف. ريال اوئيليه، ترجمة: نهاد التكرلي، مراجعة فؤاد التكرلي. د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ١٩٩١م.
٤٠ - العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس، العراق، ١٩٨١م.
٤١ - عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة محمد معتصم، تقديم: سعيد يقطين الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
٤٢ - الفروق اللغوية هلال العسكري، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٤٣ - الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٩٦م.
٤٤ - فضاء النص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا مطبعة اليمامة، ط ١، حمص - ١٩٩٦م.

٤٥ - الفن القصصي في القرآن الكريم، د. محمد احمد خلف الله، مكتبة النهضة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، القاهرة - ١٩٥٧م.

٤٦ - فن المونتاج السينمائي، كاريل رايس، ترجمة: احمد خضر، مراجعة: احمد كامل مرسي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف، الدار القومية، ط ٢، مصر - ١٩٦٥م.

٤٧ - في الأدب والأدب الإسلامي، محمد الحسناوي / المكتب الإسلامي - بيروت دار - عمار، عمان، ط ١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤٨ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ط ٥، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

٤٩ - في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان ١٩٨٦م.

٥٠ - في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٨م.

٥١ - القرآن وعلم القراءة، جان بيرك، ترجمة. د. منذر عياش، د. محمود عكام - دار التنوير - بيروت، مركز الإنماء الحضاري - حلب ط ١، ١٩٩٦م.

٥٢ - القراءة والتجربة: حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد في المغرب، سعيد يقطين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ط ١ - دار البيضاء، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٥٣ - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت (د. ت).

٥٤ - قصص الأنبياء، عماد الدين أبو فداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) منشورات دار الهلال، ط٣، بيروت - لبنان ١٩٨٨م.

٥٥ - القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته د. فضل حسين عباس، السلسلة القرآنية من أنوار التنزيل، دار الفرقان، ط ١، عمان - الأردن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٦ - قصص من القرآن الكريم، محمود زهران، الناشر، مكتبة غريب،

القاهرة، ١٩٧٧.

٥٧ - قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار، منشورات دار الكتب اللبناني، المكتبة الجامعية، ط ١، بيروت - ١٩٨٥م.

٥٨ - كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى - ١٩٩٩م.

٥٩ - اللغة العربية معناها وبناها، د. تمتم حسان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة - ١٩٧٣م.

٦٠ - مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٦١ - المتخيل السردي: مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

٦٢ - مدخل إلى نظرية القصة: تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - ١٩٨٦م.

٦٣ - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة - مصر، ط ١ - ١٩٦٥م.

٦٤ - المصباح المنير، احمد بن محمد علي المقري (ت٧٧٠هـ)، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٢٩٤هـ.

٦٥ - المصطلح الفلسفي عند العرب، نصوص من التراث الفلسفي في حدود الأشياء ورسومها: عبد الأمير الاعسم، منشورات مكتب الفكر العربي، بغداد، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٥م.

٦٦ - مع الأنبياء القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، ط ٩، بيروت، ١٩٨١م.

٦٧ - مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، من التأسيس إلى التجنيس، نجيب العوفي، منشورات المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٨٧م.

٦٨ - مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق:

عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى الياس الحلبي وأولاده - مصر ط ٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٩ - من أنباء الرسل: عبد السلام محمد بدوي، ج ١، طبع بمطابع دار الشعب، القاهرة ١٤٠٣ - ١٩٨٢م.

٧٠ - الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الانكليزية، فؤاد كامل، جلال العشري ، عبد الرشيد صادق، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

٧٠ - نظرية الأدب: رينيه ويلك وأوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٧١ - النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٣، بغداد، ١٩٨٧م.

٧٢ - نظرية الرواية: جورج لوكاش، ترجمة الحسين سحبان - منشورات التل، مطبعة النجاح - الدار البيضاء - المغرب، ١٩٨٨م.

٧٣ - نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبيئر جيرار جينيت، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ط ١، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

٧٤ - نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس: ترجمة إبراهيم الخطيب، المؤسسة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ١، بيروت - لبنان ١٩٨٢م.

٧٥ - نقد الرواية، من جهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، د. نبيلة إبراهيم سالم، النادي الأدبي، الرياض، كتاب الشهر (٢٠)، ١٩٨٠م.

٧٦ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري بك، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد الله ابوا صعيليك، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الرسائل الجامعية ١ - اثر المعنى القرآني في تحديد الأداة، د. خزعل فتحي زيدان، رسالة دكتوراه، بإشراف د. محيي الدين توفيق، كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٩٩٥م.

٢ - ألفاظ الزمان في القرآن الكريم، أيمن توفيق الوتار، رسالة دكتوراه بإشراف د. عماد عبد يحيى، كلية الآداب - جامعة الموصل، ٢٠٠٠م.

٣ - البناء الفني لرواية ثلاثية البحر لحنامينة، محمد علي، إشراف د. إبراهيم جنداري - رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الموصل، ٢٠٠٠م.

٤ - البنى والدلالات في لغة القصصي القرآني، دراسة فنية، عماد عبد يحيى، بإشراف أ. د. عبد الوهاب العدواني، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٥ - تقنيات السرد عند غادة السمان، فيصل غازي، إشراف د. إبراهيم جنداري - رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

٦ - الشكل القصصي في القرآن الكريم، دراسة جمالية، نبهان حسون عبد الله، إشراف د. إبراهيم جنداري - رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

٧ - غائب طعمة فرمان روائيا: دراسة فنية، فاطمة عيسى جاسم، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٩٩٧م.

٨ - الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري جمعة - رسالة دكتوراه، إشراف د. عمر محمد مصطفى الطالب، كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٩٩٠م.

الدوريات

١ - إذا ما الزمن / ريتشارد غيل، ت: خالدة حامد، الموقف الثقافي، مجلة ثقافية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، العدد: ٢٩، أيلول ٢٠٠٠.

٢ - الإنسان والطليعة في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، محمد علي الشوابكة، المنارة، المجلد ع ٣، ١٩٩٩.

٣ - الإدراك، التذكير، الاسترجاع، ثلاثة مفاهيم في استخدام المفرد، البروفسورة ولفام رفرز، جامعة هامفورد، ترجمة: رمضان مهلهل سدخان، الموقف الثقافي، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، العدد الثاني لسنة ١٩٩٧م.

٤ - باختين والزمن والسردي الحديث: سبستي بيرثن، ترجمة: د. محمد

درويش، مجلة الأقلام، بغداد - العدد السادس، ١٩٩٩م.

٥ - بناء السرد التراثي: قصة بياض ورياض لمؤلف مجهول أنموذجا، محمد علي الشوابكة، وفلز قيسي، أبحاث اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، اربد - الأردن، المجلد السادس عشر العدد الثاني، ١٩٩٨م.

٦ - التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي وبشير القمري وعبد الحميد عقار، مجلة آفاق، المغرب، العدد ٨ - ٩، ١٩٨٨م.

٧ - حدود السرد جرار جينيت، ترجمة: بنفيس بو حمالة، مجلة آفاق، المغرب، العدد ٨ - ٩، ١٩٨٨م.

٨ - العظة في القرآن الكريم، منير القاضي، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد المجلد ٩ لسنة ١٩٧٣.

٩ - قوم نوح: نبوت الروح وليست نبوت النسب، محمود محمد عمارة، مجلة منبر الإسلام - القاهرة، العدد ٤ لسنة ١٩٧٣م.

١٠ - مدخل إلى التحليل البنيوي الشكلي للسرد، محي عارف الكبيسي، مجلة أقلام العدد ٥ - ٦ لسنة ١٩٧٣م.

١١ - مقولات السرد الأدبي، تزفيطان تودوروف، ترجمة: الحسين سميان وفؤاد صفا، مجلة آفاق المغرب، العدد ٨ - ٩، ١٩٨٨م.

١٢ - الموصل فضاء روائيا: روايتا الإعصار والمئذنة، وفجر نهارة وحشي، نموذجين د. إبراهيم جنداري، مجلة الأقلام، بغداد، ع ٧ - ٨، ١٩٩٢.

فهرس المحتويات

Abstract

In general, the holy Quran is sent in the pre - Islamic language,and it came in accordance with the linguistics styles of pre - Islamic Arabic tribes to open the door of challenge against allmankind in case they would bring its similar version.

Besides, we have found that the frame work of the holy Quran is based on the sequential structure.

Whereas, the other group of holy Quran stories includes the other structure, it has confirmed a distingtive future in the plot of story. We have concluded the interior flashback which has been mentioned in the holy Quran more than the two kinds of flashback,the exterior and interior-exterior.

On the whole, the holy Quran story consists of all the aesthetic modern techniques.

Abstract

Time structure in story of the Holy Quran
(Flash - back and foreshadowing)

The thesis aims as studying time structure reprented by flash - back and foreshadowing in the holly Quran for it is one of the important studies. That has not been studied but normally in the past. The research includes: a preface, an introduction, two chapters, conclusion and a list of sources and refernces.

The introduction includes three axis: The first axis consists of the time conceptions by the philosophical time, the natural time linguistic. The syntactic and the morphological one.

As to the second axis, the introduction,it containes the opinions of the novel critic beginning from the formalist to the Holy Quran in which we have explained its significance and its having the techniques of time.

The first chapter containes four, in the first section, we have tackled the structures of the action. The sequential, the interrelated, the parallel, the repetitive. The inclusive and the circular. The other sections consiste of the three kinds of flash back. The interior, the exterior and interior - exterior one.

As to second chapter, the foreshadowing. It includes four sections as well. The first section contains the classification of foreshadowing according to extension in which it is classified into an interior foreshadowing.

The second section tackles to classification of foreshadowing according to capacity partial foreshadowing and a complete one.

The third section is divided into parts: the declaration and the expectant signs, this division is done according to function and role.

As to the forth section, it handles the complex irony represented by the open flashback, the foreseeing flashback and the back shift foreshadowing.

As to the conclusion, the bases in which our study of time in the story of the holy Quran is based on, is that the holy Quran is sent to all mankind regardless of their languages and their dialects and to - all ages.

TIME STRUCTURE
IN STORY OF THE HOLY QUR'AN
Flash-back and foreshadowing

by

Dr. Baššār Ibrāhīm Nāyif

